

DUPLICATE



CU02398524

نداء القرب

● بقلم ابي زيدانه هيكيل



The Call of Heart -
Modern Arabic - Near East Christian Council - Rec'd 7/12/55

نداء القلوب

قصة من صميم تاريخ لبنان

بقلم

ادريس زبدانه هبعل



بيروت ص.ب. ٢٣٥

١٩٥٣

الفصل الاول



رسول ابراهيم باشا

ما اجمل لبنان ! وما اروع مناظره الخلابة وما تتلون به
من روعة وجلال ! ويخال لي انني اشاهد صورة مصغرة
ارضية لجنة الخلد السماوية ... !

غالب ، صدقت يا جابر ، يقف الناظر امام هذا الجبل
مبهوتاً لما يراه من القمم الشاخنة المتوجة بالثلج « على مدار
السنة » بجانب اوديته التي تكثر فيها المزارع والغياض
الحضبة ، وما ابدعها وقد اكدت بابهي حلة حاكتها يد
الخالق العظيم ... اما جوه « فكما ترى » مشبع بعطور
اشجار الصنوبر والرياحين الذكية ، ونسيمه العطر ينعش
الارواح ويشفي السقام .

واعلم يا جابر بان موقع بيت الدين - مقر الامير بشير -
القريب من معسكرم على كتف هذا الوادي ، آية من
آيات الطبيعة في جمال منظره وروعة سحره ، لا سيما زمن
الربيع حين ينثر الازهار المختلفة الالوان على ما حواليه من
مروج وتلال . وكأن الربيع آلى على نفسه ان لا يترك
شيئاً على هذه التلال والوديان ما لم يلمسه بانامله السحرية «

فينفخ فيه الحياة ويحرك فيه عواطف البهجة والسرور ، ويشيد عليه صروح البعث والانطلاق ، فكل ما في لبنان يهيب بالنفس للخلق والابداع والامل والرجاء .

كان جابر ضابطاً من ضباط الجيش المصري الاشداء وامين سر ابراهيم باشا قائد الجيش المصري ومرافقه الخاص ، رجل طويل القامة مستطيل الرأس ، اجعد الشعر ، عريض المنكبين مقتول العضل ، جبار في الملمات ، سريع الخاطر ، حرّ الشمائل .

اختاره القائد المصري لبساته واخلاصه ، واعتمده في المهمات السياسية الخطيرة واثمنه على اسرارها . فكان عند حسن ظنه به .

وفي مساء يوم من شهر ايلول سنة ١٨٣٨ حين كان ابراهيم باشا يعسكر بجيشه قرب ضواحي العاصمة التركية (استنبول) استدعى جابراً وقال له « لدي رسالة خطيرة ارجب في ايصالها للامير يشير الشهابي » وقد وقع اختياري عليك ، لما تحققته من اخلاصك واندفاعك في سبيل الوطن ، بجانب خبرتك في مسالك الطرقات الجبلية الوعرة ، فخذ هذه الرسالة واحتفظ بها الى ان تصل الى قصر الامير بشير فتسلمه ايها يدأ بيد . ولا تتأخر في العودة ورد الجواب - سرّ على يركات الله .

فانحنى جابر امام قائده بعد ان ادى التحية العسكرية ،
 واسرع الى مرابط الخيل فاسرج جواده الادهم وامطاه
 وجعل يحثه على السير . فكان يريح الجواد في اثناء النهار
 ويعود للسير المتواصل في الليل .

وبقي على هذه الحال اياماً عديدة يتخذ اقرب السبل الى
 هدفه ، ووصل الى بيت الدين قبيل الغروب ، فترجل عن
 جواده قرب قصر الامير الذي كان يغص برجال الحاشية
 والجند ، وعلى جانبيه مرابط لمئات من اهل الخيول العربية
 المطهمة .

فأسرع للقائه مملوك مصري استقبله على مدخل ساحة
 القصر وتسلم مقود جواده وسار به الى مرابط الخيل . اما
 جابر فسار مسرعاً الى مدخل القصر يستأذن الدخول على
 الامير الكبير .

فسأله الخاجب عن حاجته : فاجاب : انني رسول ابراهيم
 باشا القائد المصري احمل رسالة منه للامير بشير ، وقد أمرت
 بان اسلمها له يدأ بيد .

فامله الخاجب هنيئة : وعاد يشير اليه بالدخول . فدخل
 جابر متهيئاً وانحنى مسلماً : ثم اخرج ملفاً كان يخفيه داخل
 ثيابه وقدمه للامير جاثياً . ثم نهض وعاد الى موقفه ينتظر
 الجواب .

وكان الامير الشهابي جالساً في قاعة العمود الكبرى يحيط
به بعض اخصائه وكبار رجال ديوانه . ففض الملف وقرأ
لنفسه ما يلي :

- الى الصديق العزيز وحليفنا المخلص الامير بشير الكبير
دام غزاه

- ابادر لاعلمكم باشتعال نار الثورة في حوران وفلسطين
ولا اظنها خافية عليكم ، غير ان الذي نقل اليها الخبر اكد
انه يخشى امتدادها الى لبنان وسواحه . ولا يخفاكم ما يقوم
به عمال الدولة العثمانية من بعث القلاقل وتغذية المشاغبات ،
ويحاولون بشتى الطرق اثارة الفتن ودس الدسائس طمعاً
بالاستيلاء على سوريا ولبنان .

فهل يمكننا الاعتماد عليكم وعلى جيشكم الباسل ،
اذ ينضم الى جيشنا بغية الدفاع والذود عما استولينا عليه بجد
السيف واراقة دماء جندنا . انني ارقب جوابكم السريع
ودام بquam

حليفكم المخلص

ابراهيم محمد علي باشا

ولما اتم الامير قراءة الرسالة استدعي غالب العرباني
رئيس حرسه وقال : مشيراً الى جابر قم بضيافة رسول ابراهيم
باشا واكرم وفادته الى ان ادعوكما الي ...

فالمخني غالب ويده على صدره واجاب : امرك مطاع
يا مولاي :

ثم اشار الى جابر وسارا معاً الى الشكنة العسكرية
المختصة بالضباط واركاز الحرب . وبعد ان استراح جابر
وبدل ملابسه تناول طعام العشاء ثم اخذ يدخن من التبغ
اللبناني الفاخر الذي قدم له مبالغة في تكريمه . وشاء غالب
ان يرفه عن ضيفه مشاق السفر فسأله : هل يروقك الذهاب
في تزهة قصيرة الى المروج القريبة ، نتمشي بين الكروم
الجميلة نقطف من ثمرها وتمتع الطرف بسحر منظرها ؟

فابتسم جابر وقال : اود ذلك مع الشكر « ولا يحتاج
الرأي المليح الى مشورة » فهما بنا .

سار الرفيقان الهويناء ، وابتعدا عن الشكنة العسكرية
منفردين يستمتعان بالهدوء والسكينة ، ويروحان عن نفسيهما
بالسمر وسرد العبر .

وكانت الليلة من ليالي الصيف الرائعة ، والقمر يسكب
فيضاً من نوره على الممرات المتشعبة على تلال بيت الدين
القريبة من دير القمر ، وسارا جنباً الى جنب يتسامران
ويتغزلان بحال لبنان ويشيدان بروعة امسياته كما سبق .
وقادهما المسير بالقرب من قصر جميل البناء بديع الهندسة

يقع على رابية عالية هادئة متوجة بالصنوبر ، امامه منفسح
من الارض يفوح منها اريج الازهار ، ويعبق فيها عطر
الزنبق والياسمين . وعلى جانبيه غرست اشجار التين والزيتون
والكرمة . فوقف جابر وقد أخذ بعظمة القصر وجمال موقعه
فسأل غالب :

لمن هذا القصر الفخم الذي انفرد بنائه في هذه البقعة
الساحرة وامتاز بمناظره الرائعة ؟ ويخال لي ان صاحبه نقل
صورة بناءه وهندسته عن ما نسمعه من وصف صور جنة
الفردوس ، فاختار هذه الرابية العالية ، والجو الساحر لتجيه
مطابقة لذلك الوصف .

ثم ابتسم وقال : لعل جمال السكان يفوق جمال المكان
لان الجميل يبدع الجمال وكل جميل للجميل خليل .

فضحك غالب ضحكاً عالياً لسرعة خاطر رفيقه المصري
واجاب :

انني اشهد لشعبكم المصري شهادة حق وانصاف ،
بسرعة الخاطر وحسن الذوق اللذين لا يجاريكم فيهما احد ،
وقد صدق القائل : جواب المصري تحت ابطه : « فالمصري
محبول بالذوق » وخفة الروح والبداهة .

وصمت غالب هنيهة ثم قال : يدعى صاحب هذا القصر



ابراهيم باشا - القائد المصري

الشيخ منصور الديواني وهو ينتسب للبيوت العريقة في الحسب والنسب في لبنان ، له ابنة وحيدة ، وافرة الجمال نادرة المثال .

فضحك جابر وقال : هات واكثر من هذه الاوصاف الرائعة ، لنمتع شبابنا المأسور ولنصل الى حقنا المهدور . ودعنا نصل من بيت القصيد ولو بالسمع ، فذكر الخوريات الفاتنات ، ووصف الجميلات الساحرات ، ينعش القلب ويشرح الصدر ويدنيننا من اجواء النعم .

فابتسم غالب واقترب من جابر وتأبط ذراعه وقال : دعنا من التغزل والتشبيب في هذا الموقف يا صديقي . الا تعلم انه حرّم علينا نحن الشرقيين المجازفة ولو بالنظر الى من هو اسمى منا مكانة وانبل محتداً « لا سيما اذا كان في دار العظيم حريم » فلنبتعد عن النار ولا نلعب بها .

فقال جابر : عفوك يا صديقي . فالشباب يلذ له التحدث عن الغانيات الفاتنات كما يطيب للفتاة سماع اخبار الابطال الاشداء ، والتحدث عن بطولتهم « لا سيما ابطال الحب » وهذه غريزة طبيعية في كلا الجنسين . فلا لوم علينا ولا حرج ، واود ان تتم حديثك عن رب القصر . فقد راقني التعرف الى سيرته والاستماع الى تاريخه .

فقال غالب : اشتهر رب القصر بالتعقل والاعتدال
وبوالاته للامير بشير ، وقيل ان بينه وبين الامير عقد عهد
ومودة ، كما كان من اصدقاء الشيخ سعد مدبر الامير
يوسف الشهابي عم الامير بشير الحالي ، وطالما سعيها معاً
بحكمة ولباقة حتى يصلحها ما بين الامير وعمه من النفور ،
فالفلاح ولكن كان ذلك الى حين ، لان ولاية الدولة العثمانية
كانوا قد فتحوا باب المزاخمة على الولاية والحكم في الجبل
ولا يزالون ، فكان الوالي منهم يوجد بجلعه الولاية والحكم ،
على من يحزل له العطاء والضريبة ، دون التفات الى صفات
الحاكم ومقدرته ، ولا الى مصلحة الشعب وحاجاته ،
فاستطاعوا بذلك استنزاف مال اللبنانيين واراقة دماء
ابطالهم ، واصبحت البلاد ملجأ للفتن والمشاغبات .

فتنه جابر وقال : تتراءى لي الدنيا كأنها ميدان فسيح
لنضال مستمر ، او مسرح نشاهد عليه البشرية في صراع
دائم مخيف في سبيل السلطة والتوسع . فمنهم فريق يناضل
دون اعياء ، فيتخطى الصعاب ويذل العقبات بغزيمة وثابة ،
وقلب ثابت ، وفي شجاعة نادرة ، وجراً متوفرة حتى يصل
الى ما يبغيه ، ويحقق آماله في الحياة وامانيه . والشاهد
القريب على ذلك هو اقدام اميركم وعزيز مصرنا على ما
ذكرت .

فهر غالب رأسه واجاب : صدقت يا جابر ، وبالصواب
 نطقت ، اما انا فيدهشني امر المتشاحنين على الامارة ،
 والمتنازعين على السلطة ، فكل يضرع الى ربه ان ينصره
 على الآخر تأييداً للحق ، غير ان الاسباب الحقيقية التي
 تدفعهم للصراع والحرب لم تكن سوى الطمع وحب السيادة
 كما ذكرت ، وكما يفضل الحيوان على الانسان ، لانه اذا
 تنازع حيوان مع آخر فانما يتنازعان على فريسة تشبع جوفهما
 تمسكاً بالبقاء . اما الانسان فلا تفه الامور يرتكب جريمة
 القتل .

فتأوه جابر وقال : يحز الالم في نفسي عندما افكر فيما
 تقاسيه الشعوب من احوال الحرب وويلاتها ، فكم خسائر
 في الارواح يجيشنا نزلت ! وكم شباب في ربيع العمر اردت !
 وكم من اطفال يئمت ! وكم من نساء رملت ! وكم من
 امهات اثكلت ! وكم من مدن عامرة دمرت ! وكم من
 بيوت آمنة خربت لا لذنب الا جأً للفتح والسيطرة .

وما اتمّ جابر قوله حتى سمعا صوتاً رخيماً وانشاداً شجياً
 لابيّات زجلية يرافقها طنين اجراس تحمله اليهما امواج النسيم
 وهدهوء الليل الى ان اخذ الصوت يقترب منهما واذا المنشد
 يقول :

« لبنان في هالكون مالك من مثيل
 شهوك بالخال في الوجه الجميل
 رقة نسيم خميلك تشفي العليل
 يا نفس ريتك من اريجو تشبي
 لبنان معبودي وديني ومركبي »

وكانت الوديان تردد صدى النشيد مقطعاً مقطعاً . ثم
 اخذ الصوت يخفت رويداً رويداً الى ان ابتعد عنها واختفى
 بين الوهاد والهضاب .

فاستغرب جابر ذلك الانشاد في هدأة الليل وغفلة النائم ،
 وما يرافقه من حنين وطنين ، فامسك بيد غالب وسأله :
 من يكون المنشد صاحب الصوت الرخيم وما شأنه ؟

اجاب غالب : وقد غلب عليه الضحك وقال : لا
 تستغربن ما سمعت يا جابر فهذه عادة متبعة في جبالنا يروح
 بها الساري مشقة السفر عن نفسه . واكثر العامة في بلادنا
 يرتجل القصائد الزجلية ، فيتغزلون بقتيات احلامهم ويمدحون
 من يحبون من حكاهم ، ويهجون من يكرهون من اعدائهم
 والطريف عن هؤلاء الزجالين انهم ييثون حينئذ بن يحبون
 ويتغزلون جهاراً بن يهيمون دون ان يجعلوا للشك سبيلاً لما
 يضررون .

اما المنشد - صاحب الصوت الرخيم - فهو شاب يلقب
 بسمعان الدير . وهو زجال شهير ، صوته رخيم يتلاعب باوتار
 القلوب تلاعب النسيم المنعش باغصان الشجر . وهو متعهد بتموين
 الاديار « في هذه الديرة » فيحمل على بغاله وجماله القمح
 والذرة والزيت من السواحل مؤونة لسكانها من راهبات
 ورهبان ، الذين نذروا العفة والانقطاع عن العالم ، رغبة
 بالتعبد والتقشف . ولسمعان هذا حديث ذو شجون تردده
 العجاثر على مسامع اولادهن واحفادهن للعبرة والموعظة ،
 ولو لم يدهمنا الليل لحدثك به وساترك سرد قصته عليك
 لفرة مؤاتية .

فقال جابر وقد اندهش مما سمع : يخال لي ان سكان
 جبل لبنان شعب متدين ورع ، متمسك بفروض ديانتهم
 محافظ على تقاليدهم ، ويدهشني تعداد ادياره اني توجهت .

اجاب غالب : صدقت يا جابر ، فعلى رؤوس كثير
 من مرتفعات هذا الجبل شيدت تلك الاديار كأنها قلاع
 او حصون ، وما اجمل قباب الاديار وهي ترسل صباحاً
 ومساءً اصوات النواقيس تدعو الناس للصلاة والتعبد .
 فكل ما في لبنان يهيب بالنفس للعبادة والخشوع .

فقال جابر : وقد سحره ضوء القمر - وكان بدرًا -
 المطل من وراء الجبال : ارى ان الجمال والحب يدبان

خلال انوار البدر وفي جميع كائنات لبنان . فيا لعظمة
لبنان وروعة معاملته !...

فابتسم غالب ابتسامة شقت عن معان كثيرة ، ولم
يتمكن من كبت تنهدة عميقة افلقت من بين شفثيه
وقال : آه يا جابر ، لقد لمست وترأ حساساً من اوتار
قلبي ، وأثرت اشجاناً خفية اكتمها عن كل مخلوق . فانا
وحيد في هذا العالم ، لا اهل لي انتسب اليهم ولا صديق
مخلص احده باسارير قلبي فيواسيني .. ولا رفيق رقيق
يخفف عني وطأة الوحشة التي اعانيتها ... فذكرك للحب
يثور جراحاً اليمة في قلبي ... ويروعي لاسباب توجب
عليّ الكتمان . مع ان الحب الشريف وغايته الشريفة
من عند الله ، لانه الوسيلة الوحيدة لتآلف القلوب وحفظ
انواع الناس . وسبب نظام هذا الكون ، ولكن ...
ما اشقى الحب الوضع اذا احب فتاة « من ذوات الحسب
والنسب » وكان دونها في القلب والرتب .

وما عثم ان بلغ مسامعها صوت النفير يعلن موعد
رجوعها الى الثكنة ، فعادا ادراجهما وكل يردد في نفسه
ما دار بينهما من حديث وشجون .

الفصل الثاني

قصر بيت الدين

هو قصر فخيم البناء ، جميل الموقع ، بني على مرتفع يعلو ٢٥٠ قدماً عن الوادي و ٣ آلاف قدم عن البحر الأبيض المتوسط ، تحيط به اشجار السرو والصنوبر احاطة السوار بالمعصم ، وتبدو كأنها حراس ساهرة على رب القصر العظيم . وطالما شيد العظماء القصور الفخمة ، « غير ان القصور لا تخلق عظيماً » .

وقد استغرق بناء القصر نحواً من ٢٢ سنة ، عمل في بنائه ٢٠٠٠ عامل فكان البناؤون من الشويز في لبنان ، والحفاريون والنقاشون من المتن والشوف فبدت على الجدران النقوش الجميلة الملونة ، والحفر المزخرف بالالوان الذهبية اللامعة ، وجميعها من مفاخر الصناعة اللبنانية . وخصصت قاعات عديدة للمحاكم وموظفي الحكومة .

وكان النجارون من دمشق ، فطعموا النوافذ والابواب بالصدف الجميل النادر ، اما الرخامون فجاءوا من ايطاليا ، وقد ابدعوا بانشاء الحمامات التي يندر وجودها حتى في

البلاد الاوربية ، وقد قسمت الحمامات الى قسمين كبيرين ، قسم للنساء وآخر للرجال يقوم على خدمتها عبيد للرجال وجوار للنساء . وعلت مساطب رخامية بديعة الصنع في جميع غرف الحمامات . فرشت بالسجاد الفاخر تعلوها المتكآت الوثيرة للاستراحة عقب الاستحمام ، وللأسلوى بشرب القهوة والنارجيلة .

اما الذي اشرف على البناء واقمه فهو رجل دمشقي الاصل اسمه موسى نصره من اسرة الطويل الدمشقية . « انتقل موسى هذا باولاده الذكور الثلاثة وبناته السبع من دمشق الى بيت الدين ليدير دفة العمل وهندسة البناء الى ان اكمل .

وطالما تترك الاماكن الشهيرة اثرأ قوياً في العقل وتسلط على الخيال قبل رؤيتها والتعرف على معالمها . وسرعان ما ذاعت شهرة قصر بيت الدين ، وتناقلت حديث عظمة صاحبه الامير بشير الكبير الخاصة والعامة ، لا سيما اخبار هيئته وعدله . حتى قصده الامراء ورؤساء القبائل من مختلف الانحاء يحملون اليه الهدايا الثمينة والتحف النادرة تقرباً منه وتودداً اليه .

وكان في عداد اولئك الزائرين امير عربي كريم ، رفيع الشأن ، يخضع لامره عشرة آلاف عربي تقطن سهول سورية

الجنوبية ، اسمه الامير محمود الفاعور . وكان يرافقه مئة فارس مغوار ، عدا حاشيته ، جلبوا معهم الهدايا النفيسة حملوها على جياد عشرة من اطيب الخيل العربية المظهمة . ولما اشرفوا على القصر اخذوا يطلقون البنادق وينشدون اناشيد المديح والتعظيم لصاحب القصر العظيم .

استقبلهم الامير بشير بالترحاب والاكرام حسب عادته ، وانزلهم على الرحب والسعة بعد ان قدم لهم كل اسباب الراحة والسرور ، واقام لهم الحفلات الزجلية الرائعة ، تبارى فيها الشعراء والزجالون في مديح الاميرين الكريمين .

وكان الامير بشير شغوفاً باعمال الفروسية والبطولة ، يحاول ان يقيم لها الحفلات الرائعة بين حين وآخر ، يستعرض فيها ألعاب القوى وضروب المصارعة وسباق الخيل . ففي اليوم الثالث لقدوم الامير فاعور اقام الامير بشير استعراضاً شائقاً لفرسانه وميداناً فسيحاً للرماية وسباق الخيل . وذلك مباغة في تكريم الضيف . فنزل الى الميدان نخبة من فرسان العرب المشهورين بركوب الخيل ، والماهرين في توجيهها وحشها في الميدان . ونزل الى الجانب الآخر نخبة من فرسان الامير بشير المجائين في الرماية والسباق واخذ الفريقان بالتحدي والصياح ، كل يدعي البطولة .

وسرعان ما انقسم جمهور المتفرجين الى فريقين فريق
يحمس فرسان العرب والآخر ينحاز لفرسان الامير بشير .
فاخذوا يصفقون ويهزجون باصوات تشق عنان الفضاء ، يزيد
في حماسهم قرع الطبول المتواصل .

واستمر الفريقان متعادلين في الرماية والسبق نحواً من
ربع ساعة من الزمن . وشاء الحظ بعدها ان ينحاز لفرسان
العرب ويخدمهم ، فجعلوا يصلون ويجولون بحماسة وافرة حتى
رجحت كفتهم وربحوا الشوط الاول ، فاعتزوا بفوزهم وجعلوا
ينشدون ويهللون افتخاراً بمهارتهم وبطولتهم ، ويشيرون من
طرف خفي الى اخفاق فرسان الامير بشير ، يعزون ذلك
لقلة درايتهم ، وعجز جيادهم عن اللحاق بهم .

وساء ذلك التحدي المؤلم الامير بشير ولم يطق ما سمعه
من غمز مثير ، فسكت على مضض ، ولم يتمكن من
كبت ملامح الغضب والاستياء التي بدت واضحة على وجهه ،
فنهض من مكانه واستدعى مراقبه الخاص ، وامره بان
يحضر فرسه الزرقاء التي اشتهرت بخفتها ووثبتها ، ولقبت
(بسباقه الريح) واقترب من الامير العربي وقال : اختر
لنفسك ثلاثة من نخبة فرسانك وانا اختار مثلهم ، واركب
واياك كل الى جانب فرسانه ، ومن يغلب في هذا الشوط
فهو الفائز نهائياً ويربح اكليل النصر .

فرحب الامير العربي بفكرة الامير بشير وراقه عرضه .
وتتقدم الفرسان كل الى جانب اميره ، واعتلى كل فرسه
ونزلوا الى الميدان ، فعلا التصفيق وارتفع الصياح واشتدت
الحماسة كأن الجميع في معركة حربية حامية الوطيس .

وزعق الامير بشير زعقة مدوية وقد شهر حسامه بيده
يلوح به ، فاندفع وراءه فرسانه اندفاع السهم وسرعان ما
انجلي الموقف عن فوز الامير بشير وفرسانه على الفريق العربي .
وانتصروا عليهم انتصاراً باهراً ، فطابت نفس الامير بشير
وانفجرت اسارير وجهه . فادار عنان فرسه ناحية الامير
العربي الى ان اقترب منه وقال : هل فاتك ايها الامير ان
لكل ميدان رجالاً ولكل فرس خيلاً ، فالغلبة في الميدان
هزيمة لا تطاق ، ولو كانت من باب اللهو والتسلية . وعاد
الفريقان ينشدان اهازيج النصر والاعتزاز .



وشاء الامير ان يرفه عن ضيفه بعد تلك الغلبة فاقترح
ان يصرف وايه يوماً بالرياضة المحببة لديه ، وهي الصيد
والقنص والاميران يحيدان الصيد والرماية . واعتاد الامير
بشير ان يحتفظ بانثى طير الحجل في قفص عنده لان طير
الحجل كان يعشش بكثرة بين اشجار السنديان واحراج
الصنوبر القريبة من بيت الدين وما يجاورها من قرى ومزارع .

وذلك تيمناً بزقرقتها التي توفر الغنمة الباردة والصيد الوفير
للصيادين . وليظهر للامير فاعور نفع الحيلة والدهاء كوسيلة
للكسب والتوفيق .

فلما اقتربوا من الغابات امر الامير بشير رجلاً من حاشيته
ان يضع القفص الذي حملوه معهم ، على بعد بضعة امتار من
المكان الذي يربط فيه ، فامثل الرجل الامر . وبعد
هنيهة سمعوا تلك الانثى المسماة (بالسركه) ترقرق زقرقة
عالية تسمع لبعده شاسع لهدوء المكان وخلوه من المارة . ولم
يطل الوقت حتى اطلت طيور الحجل واقتربت منها مليية
نداءاتها ، فاعتم رجال الامير فرصة اقترابها من الانثى
وبادروا باطلاق نيران بنادقهم عليها فاصابوا عدداً وافراً
منها .

ولم يرق ذلك المشهد الامير العربي ولا استصوب تلك
الوسيلة للكسب ، واطهر غيظاً لم يتمكن من كبته ، اذ
رفع بندقيته واطلقها على تلك الانثى فقتلت للحال .

فاستاء الامير بشير استياءً شديداً لقتل تلك الانثى الا
انه كتم موجدته لئلا يسيء الى سنن الضيافة التي يحافظ عليها
الشرقيون محافظتهم على شعائر دينهم ، فالتفت الى الامير فاعور
وقال : هل ساءك توفيقنا وما غنمنا من الطيور غير المحرمة ؟

فاجاب الامير فاعور : كلا ايها الامير الجليل ، لم اكن
 لاستاء من ذلك قط انما الذي ساء في واثار غضبي ، خيانة
 هذه الانثى لبني جنسها ، وايقاعها اياها في شرك الصيادين
 الاعداء ، نتيجة زقرقتها ودعوتها لها ، فسببت هلاك الكثير
 منها ، بين انثى لا تزال تعول وتحضن فراخها وذكور كانت
 تلتقط الحشرات المؤذية والهوام الضارة عن النباتات والمزروعات
 النافعة ، واود ايها الامير العظيم ان يكون الاعداء رمياً
 بالرصاص جزاء كل خائن لجنسه وبني وطنه .

فابتسم الامير بشير وقال : ان العناية تبرر الوسطة ،
 والذي يصعب نيله بقوة السلاح يسهل نواله بالسياسة والدهاء .
 فهنر الامير العربي رأسه غير موافق وقال : هذه عادة تستهجنها
 العرب وتنبذها نبذاً كلياً .

وعاد الاميران واتباعهما الى بيت الدين يتندران باساليب
 السياسة والدهاء ، وبقي كل منهما متمسكاً بوجهة نظره
 مصراً على احترام عادات قومه وتقاليدهم . واقام الامير
 قاعور سبعة ايام متوالية بضيافة الامير بشير الكبير ، لقي
 فيها مع حاشيته من ضروب الخفاوة والسخاء ومن كرم
 اخلاق مضيفهم ما اطلق السنتهم بالحمد والتناء

الفصل الثالث

غالب العربي

كان غالب في العشرين من عمره عندما انضم للجيش اللبناني تحت قيادة الامير خليل الشهابي ابن الامير بشير الكبير . وظهر غالب ضروباً من الفروسية والجرأة رفعته الى درجات الرقي والتقدم . فاصبح مرافقاً خاصاً للامير بشير ورئيساً لفرقة حرسه . ولقب بالعربي نسبة لقبيلة عربية احتضنته وهو لم يتم الثامنة من عمره . لان الاقدار العاصفة شردته عن والديه ، وقست عليه دون رحمة ، اثر الثورة المشهورة بعامية انطلياس ولحفد .

كان الشيخ اسعد ابو خطار من عينطورا رجلاً مسناً يُعد في طبيعة اعيان البلاد ، ذاهية ووقار ، معروفاً بالحُصَال الحميدة والاخلاق الرصينة ، له كرامة واعتبار عند قومه . غير ان الطمع والحسد كانا وما يزالان يدفعان صاحبهما الى تدهور الاخلاق والانزلاق في حماة الاجرام والانتقام دون مبرر . فسعى طغمة من اولئك الحساد والطباعين الطغاة الى الوشاية بالشيخ اسعد لدى الامير بشير واثارة غضبه عليه ،

مدعين انه من زعماء الثورة ومروجيها والرجل بريء من
التهمة .

ويندر ان يخاو عصر من العصور من مثل هؤلاء الوشاة
الائمة ، لتغلغل اللؤم والاجرام في نفوسهم الخبيثة . فاعتقله
رجال الامير وسجنوه في قلعة جبيل ، واقام على حراسته رجل
شرس الاخلاق ، سامه العذاب اشكالاً والواناً ، تارة بضرب
العصي ، ووضع الحديد المحمى على رأسه واخرى يجلده بالسياط
المؤلمة . فمات ذلك الشيخ الجليل ضحية الحسد والوشاية ،
شهيد الجور والظلم .

فاضطرت زوجه ام غالب ان تتوارى بوحيدها عن
الانظار خوفاً عليه من نقمة الوشاة ، وهو كل ما تبقى لها
من غزاء وامل في هذه الحياة .

وتدخلت الاقدار القاسية بتمثيل ادوار تلك المأساة
المروعة ، فخالق بين الام وولدها بعد ان شردتها بقساوة
بربرية لا تحتمل ، ورمت كلاهما في مغزل عن الآخر بعد
ان اسدلت ستاراً كثيفاً على مصير كل منهما .

وام غالب رقدت في الغابات على طريق طرابلس مغشياً
عليها عندما فرت بوحيدها . وقبل ان انغمي عليها او مات

لابنها ليفتش عن عين ماء في تلك الانحاء ويأتيها بجرعة منها
لتروي غليلها وتطفيء نار قلبها .

فذهب الغلام ، وجعل يفتش عن نبع او مسيل يعود
بماؤه لامه المعية . وكان قد توغل بين الغابات الكثيفة ،
وغابت عنه معالم الطريق التي سلكها . فسار يركض من
جهة الى اخرى ، وكانت الشمس قد قاربت المغرب ، فافاض
الغلام بالبكاء ، وجعل ينادي امه بأرق العبارات ، ويعود
يندب سوء حظه بكلمات تفتار الاحشاء ، وكانت الاودية
تردد صدى نحيبه وتعيد اليه صوت صراخه وبكائه .



واللاقدار يد سحرية تمدها حين تشاء ، فساقت لنجدة
الغلام بدوياً كان يرعى مواشيه في تلك الناحية اسمه ابو
حامد . سمع صوت الغلام ينادي وينتجب فاتبع ناحية
الصوت ، الى ان التقى بالغلام وجهاً لوجه ، فذعر غالب
واراد الهرب خوفاً منه

فناداه البدوي وقال : لا تخف يا غلام : قف مكانك
عليك الامان . فوقف غالب وقد نهكه التعب واعياه
البكاء . واقترب البدوي منه واخذ يربّت على كتفه ويؤاسيه ،
فركن الغلام اليه . وسأله البدوي عن سبب بكائه ...

فأخبره غالب بقصته وكيف اضاع امه .

وعاد البدوي يسأله عن حسبه ونسبه ... اجاب الغلام :
أعلم ان اسمي غالب فقط ولا ادري اكثر من هذا .

ورجع البدوي يصحب غالباً للتفتيش عن المرأة المعية ..
ولكن دون جدوى . ولاقى ابو حامد صعوبة جدية باقناع
الغلام كي يصحبه الى مضارب قبيلته . لكن ابو حامد اقسم
الله باغلاظ الاقسام ، انه سيعود للتفتيش عن امه بعد ان يصل
جالمواشي الى زرائبها .

فاذعن غالب الامر ، لانه لم يجد مخرجاً من تلك الورطة
سوى الخضوع للامر الواقع والالحاق بالبدوي الكريم .

وبعد ان اوى الى ركن في جانب الحيمة اخبر زوجه
ام حامد بقصة الغلام ، وروى لها ما جرى لامه وكيف
اضاعها الغلام .

فقات ام حامد : ليكن غالب بشابة ولدنا الذي
نفقده منذ سنة ، وكان بسن غالب ، فليبق عندنا وليكن
سبب تعزيتنا . وبرّ ابو حامد بوعده لغالب ، فاخذ معه
خمسة فتيان من اشداء قبيلته يحمون المشاعل والعصي
وذهبوا يفتشون وينادون ام غالب . وقضوا قسماً كبيراً

من الليل في تلك الغابات آملين الاهتداء الى الضائعة ،
لكنهم عاذوا خائبين ، ولم يقفوا لها على اثر .

وانتابت غالباً حمى شديدة ألهمت رأسه وافقدته
الوعي ، ولازمته عدة اسابيع يُصارع فيها الموت ويكافح
الداء . وعقب ذلك الصراع الخيف انتصار الحياة على
الموت . وعادت للغلام عافيته وتجددت قوته . لكنه
نسي كل ما كان يذكره من زمن طفولته ونسي اسم
ابويه اذ فقد ذاكرته اثر تلك الحمى الملهبة .

ونشأ غالب بدوياً يرعى الابل ويقود المواشي الى
المراعي وموارد المياه ، ولم يتوان مرة عن تلبية اية خدمة
تطلب منه . لكنه لقي من الصعوبات والنكبات مدة
اقامته بين العرب ما يعجز عنه الوصف . فكم من مرة
دهمته الذئاب ، عند عودته من المرعى . وكم من مرة
اعترضت الافاعي السامة سبيله وافزعته ، ونفخت
الشعابين الخيفة في وجهه وروعته .

وكان افطع ما مر به من الحوادث الرهيبة حادثة
خطيرة تقشعر لها الابدان اذ حدث ذلك في مساء يوم
من ايام الربيع عندما اقتاد الابل والمواشي الى موارد
المياه حسب عادته . فشردهجين عن القطيع واخذ

يعدو بين الحقول ، يدوس الزرع ويتلفه فتبعه غالب وجعل يصيح به ويهول بعصاه عليه ، ليرده الى القطيع .

وفي زمن الربيع تتهيج الجمال هيجاناً خفيفاً ، يخشى منها ، فخطر لغالب ان يركب الهجين كي يتمكن من تهدئته ، ويسير مع القطيع ، فعقل الهجين بيده ورجله كيلا يعود الى الشرود ويهجم على عابري السبيل . اما الهجين فأخذ يعرّ عرياً خفيفاً ، ويخرج الزبد والرغوة من شديقه بشكل مرعب .

ولم تكن عصا الراعي تفارق يد غالب ، فضرب الهجين على رأسه قصد تهدئته والحق بالقطيع . وسرعان ما حنق الهجين وجعل يعدو ويعرّ ويشدّ عقله حتى انقطع . فدار على نفسه ورمى غالباً عن ظهره ، ثم جثم فوقه واخذ يعركه بقوائمه بغية قتله والانتقام منه .

وشهد تلك المعركة الوحشية البدوي ابو حامد بينما كان في طريقه الى عين الماء ، فاسرع واطلق نيران بندقيته على الهجين الهائج ، فاجفل الهجين ونهض يعدو مسرعاً .

واغمى على غالب من هول الصدمة . فاسعفه ابو حامد برش الماء على وجهه ، فافاق من غيبوبته . وهناك ابو حامد على سلامته وشكر الله على حفظ حياته .

وكان لشيخ قبيلة عرب ابي حامد - واسمه حسان - ابنة جميلة سمراء الوجه ، جذابة الملامح ، لطيفة المعشر ، حادة الذكاء اسمها علياء . وكانت ام الفتاة من قبيلة عربية بعيدة ، التقى بها الشيخ حسان في احدى الامسيات وهي عائدة عن عين الماء ، فراقه حسنها ، وضمها الى نساءه بعد ان افرز لها خباء منفرداً تقيم به وحدها ، ورزق منها الفتاة علياء ، فكانت صورة مصغرة لامها . واولع بها ابوها وميزها على جميع ابنائه .

واعتماد الشيخ حسان ان يتغيب عن مضاربه قصد الغزو وكسب العيش حسب عادة العرب . وعلم بغيابه فتى كان يهيم بام علياء قبل زواجها وهو من ابناء قبيلتها . فخطر له ان يمر بالخباء آملاً ان يرى فاتنته بالامس .

وعلم الشيخ حسان بمرور الفتى الغرّ واقتحامه المضارب ، فغضب غضباً شديداً ، وصمم على قتل زوجه والتخلص من عارها . وما عم ان نذ الامر وقضى على حياتها .

وشاء الشيخ حسان ان يرفه عن فتاته وينسيها فقد امها فسمح لها بر كرب فرسه للرياضة والترويح عن النفس ، فكانت تمتطيها كل مساء تسير بها الى موارد المياه .

وطالما التقت علياء بغالب في ذهابها واياها ، فتوطدت

بينهما اواصر الالفة والصداقة . وكثيراً ما كانا يتسابقان ويلعبان معاً ببراءة الاطفال . وكان غالب قد بلغ السابعة عشرة من العمر ، والفتاة في الرابعة عشرة من عمرها .

وللبدويات عين نقادة ، وبصيرة واعية ، فاحتاطت جدتها ام ابياها للامر ، وحظرت عليها الذهاب الى العين ، او التحدث الى غالب .

وكان غالب يجهل امور الحياة وتقاليد القبيلة التي احتضنته ، وخفي عليه سبب تخلف رفيقته عن لقاءه .

واعتاد الشيخ حسان ان يصحب فتاته الحسناء علياء الى نهر قريب كل مساء ، ليتقصد قطعانه ومواشيه لدى عودتها من المراعي . وكان لا بد لتلك المواشي من الخوض في النهر لتصل الى حظائرها . فقطعت الابل والدواب النهر بسهولة ووصلت سالمة الى الشاطئ الاخر . وجاءت بعدها بقرة ولادة تجري في اثرها عجلة رضيعة افلنت من المربط ولحقت بامها . تخاف الشيخ على العجلة من الغرق ووقف يفكر في طريقة ينشلها بها من الماء ويتلافى موتها غرقاً . وسرعان ما انقلب خوفه الى دهش ، وتعجب حين رأى العجلة تحوض الماء وتصل الى الشاطئ سالمة .

فالتفت الى علياء وقال : يا للعجب .. كيف استطاعت

هذه العجلة الرضيعة خوض الماء بسهولة لم اقدرها ؟

فضحكت علياء واجابت : ألا تعلم يا ابي ان ابنة
(الخواضة) خواضة . فتزل جواب علياء كالسهم على قلبه ؛
فاستل خنجراً من وسطه وهوى به على عنقها وقتلها شر
قتلة . وأشار الى جثتها يطأها بقدميه قائلاً : كوني عبدة
(انت وامك) ، لكل اثيمة وعظة لكل شريرة . اما
كلمتها الاخيرة التي سببت قتلها فذهبت مضرب المثل عند
العرب الى يومنا هذا .

وخشي غالب على حياته من غضب الشيخ حسان عندما
علم بقتلها ظناً منه انه علم بصداقته لعلياء وقتلها بسببه .
فاضطربت افكاره ، وتراكت عليه الوسواس ، ولم يذق
طعم الكرى طيلة ليلة موت علياء . ولم يجد مخرجاً من
هواجسه وسهاده سوى الفرار بنفسه ، والابتعاد عن تلك
القبيلة .

وما انتصف الليل حتى نهض ، وجعل يمشي بحفاة وحذر
كيلا يشعر بهربه احد . وسار مسرعاً يعيد في قرارة نفسه
كل ما قاساه من الاهوال وما ناله من المشقات والنكبات
طيلة السنوات التسع التي قضاها في كنف العربان .

وواصل غالب السير بالسرى اياماً عديدة وليال متوالية .
وقد مرّ في رحلته على مزارع وقرى عديدة لم تطب له
الاقامة في واحدة منها . وقادته الصدف الى قرية العاقورة
المرتفعة . فراقه موقعها واعجبه لطف اهلها ، فاعتزم البقاء
فيها .

وبدا غالب شاباً نشيطاً ، قد تم نضجه ، وطالت قامته
وبانت رجولته ، وظهرت قوته بعد ان قاسى الامرّين من
خشونة العيش وشظفه . ولم تكن تلك الحشونة لتخفي معالم
طلعته الوسيمة فالناظر اليه يرى رجلاً عريض المنكبين ،
مفتول الساعدين ، تطل الرجولة من عينيه الخادتين . وكان
قد ارخى شعره ذوائب عديدة على عادة البدو ، وكان يتلثم
بالكوفية والعقال ويلبس عباءة مخططة بالوان بيضاء وسوداء .
ولم تكن عصاه تفارق يمينه ، فقد رافقته في السفرات ،
وكانت سلاحه في النوائب والملمات . وقصد غالب دار عميد
القرية واسمه (الشيخ عماد هاشم العاقوري) والتمس منه ان
يلحقه بخدمته واظهر استعداداه للقيام بكل عمل يطلب منه .

فسأله الشيخ عماد عن حسبه ونسبه . فاجاب غالب :
نشأت عند البدو يا مولاي ، ولم اكن اعلم انني ربيهم
ولست منهم . وعلمت ذلك عندما فاجأني بذلك راع

من البدو عندما تشاجرت واياه بسبب امور صبيانية
 سخيفة . فاشبعني سباً وشتماً وقال عني اني لقيط
 شريد . وانا لم اكن اعرف نسباً لي منهم او من غيرهم .
 فساء في ذلك التشهير وتركت مضارب العرب ، الى ان
 وصلت الى قريتهم العامرة ، واسمي غالب العربياني .
 وسترى مني يا سيدي ما يسرك ويرضيك .

فاجب الشيخ عماد بطلعته الوسيمة ورجواته الفضة ،
 فاعتمده في تدبير شؤون حقوله ومواشيه .

واشتهر الشيخ عماد هاشم العاقوري بضروب الفروسية
 وفنونها ، كضرب السيف واطلاق الرصاص ، وما يتعلق بفن
 السلاح . فاصبح قبلة انظار الراغب بالتدرب على ضروب
 الفروسية وفنونها وكانت تلك الفنون في ذلك العصر بمثابة
 التدريب العسكري في الامم الراقية ، بل انها كانت معرضاً
 تعرض فيه الرجولية والفروسية . فكانوا يرسون انفسهم على
 تلك الالعب الحربية استعداداً لتزول ميادين القتال عند
 الحاجة .

وطاب لغالب التدرب على تلك الاساليب ، فآلم بفنونها
 وفاز على اترابه المتدربين لنشاطه وقوة عضلاته .

وبلغت اخبار الشيخ عماد واجيره غالب العربياني

مسمع ابراهيم باشا القائد المصري . فطلب من الامير
بشير دعوة الرجلين ليتثبت مما يروى عنهما .

فلما مثلا بين يدي الامير والباشا ، ضرب الشيخ
عماد بسيفه قضيباً من الحديد ملفوفاً باللباد فقطعه نصفين .
واطلق غالب الرصاص على طير سريع فاصابه ، وضرب
بسيفه ثور بقر فشطره شطرين ، مما ادهش الامير والباشا .

فانما عليهما الانعامات الوفيرة مكافأة لبراعتهما
وفنهما . واعجب الامير بشير برجولة العربي ، فعرض
عليه الانضمام الى الجيش اللبناني . فرحب غالب بالفكرة
وانضم للجيش لتوّه . واخذ يتقدم من رتبة الى رتبة الى
ان اصبح رئيس حرس الامير بشير وملازمه الخاص .

الفصل الرابع



لمياء الديراني

« حواء قد اورثته الحسن اجمعه
الا قليلا على العادات قد قسما

فقلت فلتجيا (لمياء) مسودة
بجسنها ما بدا بدر بافق سما

هذا ما انشده احد الشعراء في الغادة الحسناء لمياء ،
وهي اذا اطلت على الزائر تبدى لناظره قامة هيفاء ، يعلوها
وجه جميل ، متناسق القسما . تتقد فيه عينان ساحرتان
تشعان فتنة وذكاء ، يضيفي على ذلك كله انوثة مستحبة
ناعمة ، تأخذ بجماع القلوب . وبالتالي لقد كانت آية في
الخلق والخلق .

وأولت لمياء بركوب الخيل منذ نعومة اظفارها ،
فتمرست بالرياضة والسباق وطالما تحفت بالعبادة وتلثمت
بالكوفية ، تتحدى الفرسان ، وتدعوهم لمنازلتها في الميدان
وهم يجهلون امر ذلك الفارس المغوار ، ويتساءلون عن اسمه .



لياء الدبراني — بطلمة الفضة

ولمياء ابنة الشيخ منصور وحيدة لابنها الذي رعاها
يحزنانه ، وخصها بعطفه تعويضاً لما خسرت من عطف الام ،
التي قضت نحبها ولمياء في دور الطفولة .

ورغب ابوها في تعليمها وتثقيفها مع قلة المتعاملات في
عصرها . فتلقت العلم على ورده الترك ابنة الشاعر نقولا
الترك المقرب من قصر الامير بشير . وكانت ورده خير مثقفة
في ذلك العصر . ولا غرابة في ذلك وقد نشأت في بيت
علم ، وتثقت ثقافة عالية ، بجانب ما تحلت به من نبل
وفضيلة ، وما اشتهرت به من الادب وحسن الكتابة . وقد
امتدحت الشاعرة النائرة الشهيرة ورده اليازجي بابيات من
قصيدة بعثت اليها بها مطلعها :

يا ورده الترك اني ورده العرب
فبيننا قد وجدنا اقرب النسب
اعطاك والدك الفن الذي اشتهرت
الطافه بين اهل العلم والادب
قد شرفت قدر هذا الفن بارزة
بحسن لطف ورأي غير مضطرب
تزين الطرس في خط تنمقه
فينجلي مثل عقد اللؤلؤ الرطب

وهكذا نشأت لمياء وترعرعت على اخلاق سامية مع جمال ساحر وتعقل نادر ، فحلم حولها الطلاب وتودد الى والدها الامراء والخطاب . ولم تتجاوز السابعة عشرة من عمرها .

ففي صباح يوم باكر طاب هواؤه ورق نسيمه من ايام شهر نوار سنة ١٨٣٩ وقد شمل الهدوء بلدة دير القمر ومرتفعاتها الجبلية حيث يقيم الشيخ منصور الديري وابنته لمياء في قصره الفخم ، وحيث لا يعكر صفاء ذلك السكون سوى صياح الديوك المتواصل اشارة لقرب انبلاج الفجر ، استيقظ الشيخ منصور باكراً حسب عادته . وجلس على مرتبته ، امامه ادوات القهوة وعلمة التبغ والغليون . وما عثم ان سمع وقع حوافر جواد بالقرب من القصر ، فنادى يا قوته مربية لمياء لترى من القادم ؟

وعادت المربية تحمل رسالة جاء بها رسول من قبل الامير خليل ، يدعوها بها وابنته لمياء لحضور حفلة سباق يود ان يقيمها على شرف بعض المشايخ والامراء .

الفصل الخامس

حفلة السباق

عادت لمياء فيمن عادوا من فرسان ومتفرجين من حفلة السباق ، وقد شعرت بنحقان في قلبها وبرودة تسري في اطرافها ، سببا لها قلقاً في نفسها ولم تدر الى مَ تغزو كل ذلك . ولقد ازدان الميدان الفسيح في بلدة بيت الدين بالاعلام الخفاقة والازهار العطرة ، واقيمت المقاعد المرتفعة تطل على الميدان ومعالم الزينة الفخمة .

واعطي كل ذي كرامة كرامته ، وعين لكل مجلسه حسب مقامه ورتبته . يتقدم ذلك الجمع الغفير الشيخ الجليل منصور الديрани ، صديق الامير بشير المقرب ، والى جانبه ابنته لمياء وكان الامير بشير متغيباً عن بيت الدين يومئذ . فتاب عنه بتنظيم الحفلة واستقبال المدعوين الامير خليل اكبر ابنائه .

ولما انتظم عقد المدعوين اقترب الامير خليل من الشيخ منصور ، وطلب اليه ان يكون حكماً للمسابقين

والرماة . وسأله ان يسمح لابنته لمياء بتتويج رأس الفائز
بأكليل النصر . واردف يقول : ومن يكون اولى بهذه
المهمة . وهي من ربات الميدان .

والتفت الشيخ منصور ليعلم رأي ابنته في ذلك .
فاحمر وجهها خجلاً ، ثم احنت رأسها وقالت : لتكن
مשיئة الامير !

فوقف الامير خليل امام المدعوين واعلن ذلك وامر
ببدء السباق . واسرع الفرسان يمشون جيادهم ويدفعونها
بالمهاميز ، وصياحهم يشق عنان الفضاء . كل ينادي متحمساً
ومتحدياً من ينازله في الميدان .

وجرت الخيل ثلاثة اشواط متوالية ، فاز فيها الضابط
الشاب غالب العربي وكان الحلبي على رفاقه بالرماية
وضروب الفروسية . وادهش جمهور المتفرجين بالعبارة
المختلفة فكان يترجل عن جواده ويعود فيمتطيه والجواد
مندفع باقصى سرعة الى غير ذلك من اساليب الجراة
والبطولة . فصفق له جمهور المتفرجين مراراً وحيوه تكراراً .
ووقف الامير خليل وهناك بعد ان اعلن الحكم فوزه
واشاد ببطولته ، ثم اقتاده الى الصفوف الامامية وقدمه
الى الشيخ منصور وابنته لمياء . واثنى على بطولته
وفوزه . وأشار الى لمياء ان تضع اكليل النصر على

رأسه . فوقفت لمياء يخفها الحياء ، وتعالو وجهها حمرة
 الخجل ، ورفعت يدها بالاكيل وتوجت به رأس غالب
 وقالت والبسمة على شفتيها : اهنتك ايها الفارس المغوار
 والبطل الجريء ، فبامثالك تعز الاوطان ، وببطولتك
 تتغنى (صبايا لبنان) !

ومدت يدها وصاغت : اما غالب فلم يدر سبب
 تلثم لسانه وهو يتمم بعض كلمات الشكر والنحن امامها
 يتراجع ببطء الى موقفه ، وسرعان ما شاعت في اعينها
 جواذب سحرية جمعت روجيها وربطت قلبيهما برباط الحب
 الطاهر . فصمتا متهيئين . كل ينظر خلسة الى رفيقه .

واصبحت لمياء تقضي نهارها ساهية وليلها ساهرة ،
 تعيد في خيلتها ذكرى ذلك الفارس المغوار الذي ملك
 قلبها واسرها هواه .

ولم يكن غالب اقل شروداً في الذهن منها فاصابه
 قلق ممض طيلة ليلاته ، وانصرف للعزلة والانفراد ، يلذ
 له التفكير بمن سلبت لبه وملكت شغاف قلبه ، وما
 تخفى دلائل الحب مهما حاول الحب اخفاء ذلك وقد قيل :

دلائل الحب لا تخفى على احد
 كجامل المسك لا يخلو من العبق

وطاب لبعض الحساد وارباب الغايات السافلة تزويج
الإشاعات ونشر الاقاويل الكاذبة المختلفة عن هيام
غالب بالمياء .

وهذه عادة ذميمة ، ومهنة سافلة يزاوها اهل القرى
في كل عصر من العصور . فهم ميالون بطبيعتهم
لذلك ، لضالة ما يتلمون به من عمل وانتشار البطالة
فيعمدون الى اذاعة الاخبار ، ونقل الاسرار كما تصورها
لهم افكارهم ، فيجسمونها ويبالغون في سردها ونشرها .
وانتدب الامير خليل ، الضابط غالب العربي للذهاب الى
قصر الشيخ منصور بعد ان حمّله رسالة رقيقة يستفسر
بها عن صحته بعد ان علم بوعكة صحية انتابته فجأة .

فاستقبلته ياقوته مربية لمياء واعتذرت عن تخلف
مولاتها لمقابلته . فاقتطع ورقة صغيرة من مفكرته
وكتب عليها ما يلي :

امرّ على الديار ديار سلمى اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

وسلم الورقة لياقوته وطلب اليها ان تسلمها لمولاتها على
حدة وعاد ادراجه تضطرم في قلبه نيران الشوق والهيام .

الفصل السادس

حكاية سمعان الدير

ابطأ الامير بشير بالرد على رسالة ابراهيم باشا ، بسبب
تجهّم الجو السياسي على اثر نفور الشعب اللبناني و غضبته ،
لاستبداد الجند المصري الحليف باهل البلاد . فاضطر جابر
للاقامة اياماً في بيت الدين يرقب الحوادث عن كثب ،
وينتظر جواب الامير للباشا .

وفي ليلة صافية الجو هادئة المعالم من شهر تشرين الاول
سنة ١٨٣٨ وكانت الكروم في ابان نضجها ، خرج غالب
وجابر من الثكنة العسكرية يتمشيان ناحية الكروم للترويح
عن النفس ، والتمتع بامسيات القمر الرائعة .

وايقظت تلك الاجواء السحرية نشوة طرب وسرور في
قلب غالب قاده للتشب والانشاد بصوت رقيق وكأني به
يقول مع الشاعر شبلي الملاط :

روحي فدى جبل ما ابيض مفرقه
حتى جرى السفح واخضرت مراعيه
غنته شبابة الراعي محاسنه
وسبحت باسمه العالي سواقيه

وحسب لبنان واديه الذي وقفت
عليه روح (لامرتين) تناجيه

فقهه جابر بصوت عال وقال : (ما شاء الله يا ابا الشام)
حقاً ان ارضكم منبت الوحي والالهام . ويخال لي ان جمال
بلادكم وروعة مناظرها يخلقان منكم شعراء . (بالقوة) وقد
صدق من قال : الشعر والالهام للبنانيين : والبداهة والنكتة
للمصريين ...

واقول دون مواربة : انني هويت بلادكم ، فلو خيروني
لقسمت قلبي شطرين بين بلادي وبلادكم . اما ذكرك اسم
لامرتين فقد اغلق عليّ ، ولا اذكر اني سمعته من قبل .

فابتسم غالب واجاب : شكراً يا غالب لحسن ظنكم
باهل بلادنا ومحبتكم لوطننا فاننا احبي فيك العاطفة النبيلة
والشعور الرقيق .

اما لامرتين الذي اغلق عليك معرفة اسمه ، فهو رجل
افرنسي ، عظيم الشأن من شعراء اوربا المشهورين ، ومن خيرة
الساسة المحنكين . وقد زار لبنان سنة ١٨٣٢ اي من مضي
ست سنوات . وتركت تلك الزيارة التاريخية اثرأ عظيماً
في نفسه وفي نفس الامير بشير .

وصمت كلاهما عندما سمعا صوت طنين اجراس يرافقه
صوت رخيم منشداً :

لما الرب في عينه رمقها عن روح الملايك ما فرقها
 شال من القمر نتقة عجيبة بشعاع الشمس تبأها وخفقها
 = = = = =
 وجبلهم في النعومة والسكينة وسحب من جعود الليل باقة
 وساوى غرة جبينها وفرقها

كيف ربنا ب صنع يدو وعطاها عنق مش موجود قدو
 وكتاف عاميلتين الصدر شدو وعبي طاستين كوتر مقطر
 وزين صدرها وشد غرقها

ما بعرف شو هيدا بعينتها سحرني وصار يجذبني اليها
 صرت هلال وكبر بين يديها واشكر ربنا عاصع يدو
 حتى يضم يخلق عا نسقها

فالتفت جابر الى غائب والبسمة على شفتيه وقال : ما
 شاء الله . ما شاء الله : ما ارق هذا الوصف وما ابدعه :
 لعل صاحب الصوت الرخيم عائد من مهمته ؟

اجاب غالب : حقاً انه وصف بديع وانشاد رائع
 يبعثان البهجة في النفس ويدخلان الطرب الى القلب .

ووقف صامتين يصغيان لكل مقطع من ابيات ذلك
 النشيد الجميل ، وتأبط غالب ذراع جابر وقال : هلمّ نجلس
 على تلك الصخرة الملساء قرب الغدير ، فنصغي لخريف الماء

خونشيد الزنبوع الساحر . وهناك يطيب لي ان اقص عليك
قصة سمعان الدير كما وعدتك .

جلسا متحاذيين ، وقد انتشيا بروعة الاجواء السحرية ،
وسماع انغام خريز الماء المسائية .

تنحنح غالب وقال : كان سمعان يتودد الى فتاة في
قرية (غريفه الشوف) طالبا الاقتران بها اسمها هذلا ويعمل
نفسه بالامال باذلاً كل رخيص وغالٍ في سبيلها . وبادله
الفتاة حباً مجب ، وهي لم تتجاوز الخامسة عشرة من عمرها ،
بيضاء اللون ، شقراء الشعر تسطع في وجهها عينا زرقاوان
فانتان وتتجلى فيهما خفة الروح .

وهام بها ابن عمها الذي لم تكن تحبه ، وتكره
معاشرته رغم خطبتها له منذ ولادتها . وهذه الخطبة في
الصغر عادة لا تزال متبعة في بلادنا لحفظ تقاليد بعض الاسر
من حيث المركز والدين .

واعترمت هذلا التخلص من ذلك الخطيب البغيض بجميع
الوسائل . وزاد نفورها منه سوء خلقه ودماثة خلقته وتقل
ظله .

وقيل انه شاء مداعبتها ذات مساء ، فكمن لها وراء
جدار بالقرب من دارها ينتظر عودتها من العين ، وكانت

تحمل جرة الماء على رأسها . ولما اقتربت الفتاة من الجدران
تسير الهويناء . خرج شبح كان محتبئاً هناك ، وزعق زعقة
مخيفة في وجهها اوقعت الرعب في قلبها ، فقلبت الجرة عن
رأسها تندرج وتنكسر قطعاً قطعاً .

وساءت هدلاً تلك الدعابة الثقيلة ، فنظرت اليه شزراً
ولم تفقه بينت شفة . وتقدم الخطيب البليد يعتذر وقال :
لا تعضيبي يا ابنة العم . لم اقصد سوى امتحان شجاعتك
ومقدرتك على احتمال المفاجئات .

وعاد مرة اخرى لمداعبتها ، فرماها بزهرة قرنفل فلم
تلتفت اليه . فساءه عدم اهتمامها به .

فصعد الى سطح المنزل في اليوم الثاني يراقب مرورها
الى (العين) وحمل سفرجلة كبيرة في يده ، فلما رآها تقترب
من المنزل رماها بالسفرجلة ، فاصابت رأسها وسببت لها جرحاً
بليغاً ، ولما سئل عن ذلك اجاب : اردت ان الفت نظرها
الى فقط . هذا عدا عن سخافات وافرة تروى عنه .

اما سيمان ، فشاب ملء برديه العافية ، مديد القامة
وسيم الطلعة رخم الصوت ، وشيخ شباب القرية ، برفع الاثقال
والاجران ، لان من تقاليد اهل القرى الموروثة انهم يضعون
جوراً من الحجر الثقيل في ساحة القرية ، فاذا صدف ومرت

عروس في طريقها الى قرية عريسها المجاورة ، لا يسمح برورها
الا بشرط واحد وهو ان يقيم احد شباب قريتها المرافقين لها
ذلك الجرن الثقيل . فاذا عجزوا فلا مناص من دفع ليرتين
ذهب لشباب تلك القرية ويسمونها دفع العادة ، وطالما وقعت
معارك دامية بسبب تلك العادة . واردف :

لكنّ حائلًا تقليدياً ابعد الشقة بين الحبيبين وجعل
زواجهما مستحيلاً .

فقال جابر : ايكون الحائل جوهرياً بهذا المقدار ؟

اجاب غالب : لعله كذلك في عرف التقاليد الموروثة .
واعلم يا جابر ان التقاليد تمثل دوراً هاماً في بلادنا . فالجيبان
الذان لا ينتميان لطائفة واحدة ولا يعتنقان مذهباً واحداً
يحرم زواجهما تحريماً باتاً . وهذا هو الحائل دون زواج سمعان
بهذلا . مع ان الكتب المنزلة تدعو الناس جميعاً للالفة
والمحبة . ولست ادري الباعث على تحريم زواج الكاثوليكي
بمارونية مثلاً وكليهما من اتباع المسيحية . ولذا اراني اصرّ
على القول ان كل دين يدعو للكره والتباعد ليس منزلاً .

فقال جابر : يا للعجب ! هل يُحرم الانسان ما حلّله الله

وامر به ؟

اجاب غالب : لا تتعجب يا جابر من تحوير الانسان

لأوامر الله وتأويلها . فقد عصي الله الانسان الاول واورث
التمرد والعصيان لآعقابه وذرايه . او تظن ان كل ما
يجريه الادميون يرضي الله ؟ هدانا المولى الى كل ما هو
حق وعادل .

وتابع حديثه وقال : وانتشرت الاشاعات يجسمها
المعرضون ويروجها المفسدون عن الحبيبين ، الى ان بلغت
مسماع شقيقها فارس الشوفي . وهو شاب قصير القامة
هزيل البنية ، عصي المزاج ثائر ، فهددها بالقتل وحرم
عليها النظر الى سمعان .

وللتقارير اصبع في كل جريمة ومأساة . تمهد لارتكابها
الامور تافهة لا تستحق الذكر . وشامت التقارير ان ترد
هدلا على تحية سمعان وهي في طريقها الى المعبد ،
وسرعان ما انتشر نبأ تلك التحية في القرية يضيف
الراوي الى الخبر ما تصوّره مخيلته من تفاسير مجسمة
ومبالغ فيها .

وللقري مذيعون اختصاصيون ينشرون اذاعاتهم المفرضة
بغية التفرقة واثارة النفور . يخفون نياتهم تحت ستار
الطائفية البغيضة والحزبية الذميمة .

وابتدأ الفصل الاول من تلك المأساة المروعة ، عندما

اضمر فارس الشر لشقيقته والغدر بها . فدعاها لتصحبه الى
 كروم لهم تقع على مرتفعات القرية . فلبت الدعوة صاغرة
 وقلبا يحدشا بالويل وسوء المصير . وسارت الى جانبه ،
 وجلة ساهية . اما هو فتحيّن فرصة غفلتها ودفعها بعنف
 وقسوة بربرية الى الهوة السحيقة وصاح بها : ليكن الجحيم
 مثواك ايتها المتمردة ، ولتشرب الارض دمك النجس .
 ولتشبع طيور السماء من لحمك الرجز . كوني عبرة لكل
 متمردة ، وعظة بليغة لكل خارجة على تقاليد وطقوس
 ذويها . هذا جزاء الخائنات .

فسقطت المسكينة سقطة مروعة ولم يسمع لها صوت .
 واطلق الجاني ساقيه للريح وامعن في الهرب فاراً من
 وجه العدالة .

وعجز ذووها مع رجال الحكومة عن وجود جثتها ،
 وما اهتموا الى علّة اختفائها . وخفي عليهم معرفة الجاني .

واختلفت اقاويل العجائز في سرد الرواية . فالبعض
 نسب ضياع الفتاة ، لملك الجن ، زاعمين انه اختطفها
 لهيامه بجبالها النادر والبعض الاخر اكد بان الارض انشقت
 وابتلعها لتمردها وخروجها على تقاليد ابائها . والا لملك
 اختفت جثتها .



جابر الطلواني - ضابط مصري

ودام حديث هدلا وسمعان عدة اشهر تتناقله الصبايا
عن العجائز ويفسره كل فريق على هواه . ومما زاد الطين
بلة اجتناب اهل القرية المرور بالقرب من ذلك الوادي ،
واطلق عليه اسم وادي الجن ، ولم يجسر احد على المرور
بقربه خوفاً من الجنيات التي تسكنه كما يعتقدون .

وسأل جابر : وماذا جرى لسمعان المسكين والصفعة
شديدة مؤلمة ؟! اجاب غالب : مسكين سمعان ! لقد
اتهموه باختفائها فاقتاوده الى السجن حيث قاسى عذاباً اليماً
واحتمل ضرباً مبرحاً ، ولما لم تثبت الادلة لادانته اطلق
سراحه بعد ان سجن سنة واكثر ظلاماً وزوراً . فهجر
القرية وعاف السكن فيها ، واخيراً اعتزم التجول بين
القرى يجمع النذورات للاديار التي تكثر في ديارنا باحثاً عن
السلوى والسلوان في الذهاب والاياب ، آملاً بالوقوف
على اثر الحبيبة التي اختفت بين طيات المجهول .

* * *

وراجت اشاعة في الاونة الاخيرة مؤداها : ان الفتاة
الحسنة هدلا حية ترزق ، تقيم في احد الاديار تنتظر
الفرج ، وزعموا ايضاً ان سمعان قد اهتدى الى المكان
الذي توارت فيه حبيبته ، في تنقلاته بين تلك الاديار

فأصبح يناجيا ويتغزل بها في رحلاته وغدواته ، ويخفف
بالأنشاد نار هيامه وانطى غرامه والله اعلم ...

فقال جابر : يا للجريمة الوحشية والجناية البربرية !
ويا لله ما أقسى قلب الانسان ! وما أبعد الرحمة عن
فؤاده ! وما أقدره على الوقوف موقف الثبات والصبر
امام مشاهد الظلم والغدر !

ولماذا يحرق المتنفذون ورجال السلطة شريعة الخالق ؟
وهو الأمر بتكوين الاسرة كما جاء في جميع كتبه
المتزلة . فمن أي كتاب استقوا تحديد وتحريم الزواج بين
طائفة واخرى . اليس من العار ان يتخذوا من سلطتهم
سلاحاً قاطعاً للتفرقة بين قلبين شريفيين حبيبين يعتقدان
برب واحد وكتاب واحد ؟ فما اعظم جريمة الامة التي لا
يموت فيها غدرأ غير شرفائها واعفائها !

وما عثم ان سمعا صوت النفير يعلن موعد العودة الى
الشكنة ، فسارا مسرعين كل يفكر بمشاكل الحياة
المتعددة .

الفصل السابع

دير السبع بنات

عادت ام غالب الى وعيها بعد ان سقطت وانغمي عليها
من شدة الاعماء اثر فرارها بوحيدها غالب . وكانت تجتنب
سلوك السابلة خوفاً من الوشاة الذين يكثر امثالهم ابان
الثورات والحروب في مختلف العصور . ويعزون ذلك لتدهور
الاخلاق ، والمخاطات القيم الروحية والمعنوية .

وكان الليل قد ارخى سدوله فخرجت الوحوش والضواري
من اوكارها واوجارها . تسمى وراء فريسة تملأ بها جوفها .

ونفضت ام غالب متباطئة تتلفت ذات اليمين وذات
اليسار ، تجمع شتات افكارها ، وتساءلات في نفسها :
اين انا ؟

وجنّ جنونها عندما افترقت ابنها ولم تجده ، فوقفت
تناديه بصوت مرتجف ... وتدعوه بأرق العبارات
والالفاظ ... ودبّ الرعب في قلبها عندما سمعت عواء
الذئاب ووطء اقدام الضباع تقترب منها ، فتشددت .

واخذت تستنجد وتنادي ، لكنها لم تسمع سوى صدى صوتها تردده الاودية ، ويعيده اليها سكون المكان ، واختنق صوتها ولصق لسانها بجلقمها ، من كثرة النداء .

فوقفت لتنفس وتصيح سمعها لكل حركة . فسمعت وطء اقدام تقترب منها ، عقبها صرخة داوية ارتجت لهولها الاودية وهلع منها قلب ام غالب المسكينة . ولم تكن تلك سوى صرخة ذئب مفترس اخذ يتنسم ريحها ، فاسرع الخطى ناحية فريسته .

* * *

ويتغلب على الانسان حب البقاء مهما قست عليه النائبات وتنكرت له الحياة . فاسرعت ام غالب تفكر بطريقة تتخلص بها من براثن ذلك الذئب المفترس . فلاحت لها شجرة مرتفعة على مقربة منها . فهرولت اليها تتسلقها والربع آخذ منها كل مأخذ . وسلمت من الوقوع غنيمة باردة لذلك الوحش الضاري . وجثم الذئب ينتظر سقوط فريسته الى الارض ، فكان يصرخ الصرخة تلو الصرخة ويهجم على ساق الشجرة بغية تسلقها ، ويرتد خائباً لعدم قدرته على ذلك .

وبعد هنيهة سمعت ام غالب تعاء خروف يقترب منها كان قد ضل عن القطيع ، فارهف الذئب اذنيه ونهض

مسرعاً تاركاً حراسة ام غالب واقتفى اثر الحروف .
وسمعت ام غالب همهمة الذئب وصوت سحق عظام فريسته .
فرفعت عينها الى السماء تشكر الله على نجاتها من تلك
الميتة المروعة وتضرع اليه ان يخلص ولدها كما خلاها .

ولاقت ام غالب في تلك الليلة المشؤومة آلاماً
ونكبات امر من العلقم .

وارسلت الشمس اشعتها الذهبية على تلك الانحاء التي
شاهدت مأساة من افطع المآسي البشرية . اسندت اهم
ادوارها لامرأة فاضلة وطفل بري .

وعادت ام غالب تفتش عن ولدها ، تناديه بأرق
العبارات وتبكيه بأسخى العبرات . فلم تجده وعجزت عن
الاهتداء الى اثره ، فثبت لديها ان وحشاً افترسه ، وغدا
غنيمة باردة في جوفه .

وردت الاودية والاكام صدى نواحها ونحيبها . ورثته
يكلمات تمزق القلوب وتقطر الاحشاء .

وخشيت ان تضطر للمبيت ليلة اخرى تحت رحمة الوحوش
الضارية . فحلت تتذلل وتضرع الى الله كي يفرج كربها
ويهديها الى ملجأ آمن قبل حلول الظلام .

سارت ام غالب منحنية الظهر ، تتمم طلبات وصلوات
وهي تقرع صدرها واذا بصوت ناقوس تسمعه من احد
المرتفعات ، فثبت لها وجود دير هناك في تلك الناحية
تتمكن من الوصول اليه قبل المغيب . فالتجته ناحية الصوت
تسرع الخطى .



فتحت الاخت شهيده باب الدير الذي دعي باسم دير
السبع بنات . وسمي كذلك لان راهباته لا يزدن ولا
ينقصن عن السبع . وكانت في طريقها الى نبع ماء قريب
تحمل جرة على كتفها لتملأها وتعود بها حسب عاداتها
كل مساء . ولشد ما كانت دهشتها عندما رأت امرأة
صفراء الوجه نحيلة الجسم ترقد بالقرب من الباب .

فاقتربت منها تناديا وتهرها فلم تجب المرأة ولم تأت
بحركة . فعادت على اعقابها وانبات اخواتها بالامر . فأسرع
ثلاث منهن يحملن الماء وبعض المنعشات اليها .

لكن المرأة المسكينة بقيت هادئة هدوء الموت .
فحملنها الى داخل الدير ، وجعلن يعالجنها بآء الزهر وينشقنها
قطعة قماش زرقاء حرقنها كي تستفيق . وتولت احداهن ذلك

يديها وثانية فرك تدميها . فافاقت المرأة اثر ذلك العلاج ، لكنها لم تقوَ على النهوض ولا على الكلام . فقدمن لها فراشاً وغطاء ووفرن لها اسباب الراحة والهدوء .

وبقيت تلك المرأة المعيبة تنن اينا يفتت الاكباد ثلاث ساعات متوالية . وعندما فتحت عينيها الذابلتين اجهشت بالبكاء وعاودت النحيب . وقامت الاخوات الى المعبد الصغير لتأدية فروضهن الدينية . وبقيت الاخت شهيدة الى جانبها ، تراقب حالتها وترثي لمصبتها المجهولة . ولم تكن تلك المرأة سوى ام غالب .

استمرت ام غالب اياماً مطرقة الى الارض تجملها الكتابة ويقضم ظهرها الحزن . لان النكبة كانت فوق طاقتها . فناءت بجمالها ، وصرعتها النوائب صرعاً مخيفاً . وتحاشت الاخوات نكاً جراح قلبها ، فلم يسألنها عن امرها شيئاً ولا عن سبب حزنها ، وطالما قضين الوقت بالصلاة معها ولاجلها . ولم تضرعن الى الله كي يخفف عنها وعنهن آلام هذا العالم الشرير .

وتسرّب الغراء رويداً رويداً الى قلب ام غالب ، لأن قضاء وقتها بالصلاة والتعبد اعادا الهدوء الى قلبها والسكينة الى نفسها .

واندمجت في سلك الاخوات الراهبات وارتدت لباسهن
واصبحت كواحدة منهن ، وقبلنها في عدادهن بالرغم من
ضيق الدير ومن صرامة قانونه . وكتمت ام غالب سرها في
قلبها ولم تبش بكلمة من مأساتها ، لانها خشيت ان يرفض
قبولها اذا علمن بامرها . وقانون الدير يبيح دخول العذارى
فقط . وعرفت ام غالب بينهن باسم^١ الاخت (مرثا) .

الفصل الثامن

سعدية خانم

فتاة في مقتبل العمر بارعة الجمال ، معتدلة القوام ، يتوج رأسها شعر ذهبي جميل وتنبعث من عينيها الزرقاوين فتنة ساحرة واغراء لا يقاوم . غير انها كانت شديدة الغيرة ، سريعة النعمة . وهي كردية الاصل ، جاءت من استنبول بجمعية الست حسن جهان خطيبة الامير بشير . لان الامير كان قد جزم ان لا يتزوج بفتاة من لبنان كيلا يكون لاهل الزوجة سبيل للتدخل في امور الحكم .

فكانت سعدية جاريته المفضلة ، ومستودعاً لاجبارها وكاتمة لاسرارها . وكثيراً ما تحدث اهل قصر بيت الدين وسكان دير القمر عن جمال سعدية ورفعة مكانتها في القصر الشهابي ، بالرغم انه لم يرها منهم الا القليلون .

وكان من بين الذين اتيح لهم رؤيتها والتحدث اليها الضابط غالب العربي - رئيس حرس الامير بشير . فمالت اليه سعدية وهامت به هياماً شديداً حرماً الهناء وعكر عليها الصفاء .

وازدادت تعلقاً به اثر فوزه الباهر في ميدان السباق ،
واعجاب جمهور المتفرجين بما ابداه من جرأة وبطولة . فعلقت
آمالها على حبه ، واعتزمت استمائه اليها بجميع وسائل
الاغراء .

وتجاهل غالب كل ما كانت تبديه نحوه من نظرات
غرامية واشارات حسية ، ضارباً بكل ذلك عرض الحائط .
لان حب لمياء كان قد تمكن في قلبه فأعرض عن الاهتمام
بأية حسناء سواها .

وما كانت الحسناء سعيدة لترضى بتلك الهزيمة النكراء ،
وهي هي المقربة من ارباب النفوذ واصحاب السلطة . فاحذت
تتجسس اخباره وتراقب حركاته وسكناته لعلها تقف على
سبب جفائه واعراضه . وللنساء ارادة قوية لا تقهر في مثل
هذه المواقف .

* * *

وهبت زيران الغيرة تتقد في احشائها واصبحت تتقلب
كأنها على قطع الحجر عندما علمت بميله الى لمياء وهيامه بها .
فاضطربت في نفسها عوامل النعمة وصمتت على الانتقام منها
والحيولة دون سعادتهما . واخذت تعد العدة لذلك وتضع
الخطط لتنفيذ مآربها .

توطدت اواصر الصداقة بين سعديه خام والشاب قسطه الرومي اثر كارثة اصابها وكادت تودي بحياتها ، لولا مجازفة قسطه بنفسه وذلك عندما لسعها افعى سامة في كرم مجاور للقصر ، فهب قسطه لنجدها واخذ يمتص مكان اللسعة ويصبقه الى ان زال خطر التسمم عنها .

حفظت له تلك المنة وقدرت تلك المجازفة الخطرة لأن لا شيء اثن من الحياة على قلب الانسان . فكانت تتحفه بالهدايا الثمينة وتحصه بكثير مما تناله من اجر ومتاع .

وقسطه صاروفيم الملقب بالرومي ، رجل يوناني الاصل من جزيرة كورفو في بلاد اليونان . فرَّ مع ذويه من بلاده لاسباب سياسية ينتحون جهة فلسطين ثم عادوا واستوطنوا سوريا عدة سنوات الى ان افتتحها ابراهيم باشا القائد المصري .

وكان قسطه اليد الطولى في ايصال المعلومات الخطيرة التي تهتم الفاتح المصري وتسهل امامه احتلال البلاد ، بجانب ما اظهره من حسن السياسة بين المصريين والاهلين .

فاعجب الباشا بدهائه وراقه حسن اسلوبه فقرّبه اليه واصبح نافذ الكلمة لدى القائد المصري لا يرد له طلباً .

وقسطه شاب ربع القامة عريض المنكبين ، كفيف الشاربين ، غليظ الرقبة سريع الغضب ، حاد النظر صلب

الارادة . يتخطى الصعاب ويذل العقبات بجرأة نادرة ومهارة
فائقة اشتهر بها . فلا يعوقه عائق ولا يحول في سبيله حائل
دون الوصول الى بغيته ، ونيل امنيته .

وكان في عداد المدعوين لحضور حفلة السباق التي اقامها
الامير خليل وقد مر ذكرها . وسرعان ما لقت نظره لمياء
الديراني وهي تتقدم صفوف المدعوين الى جانب والدها .
فجعل يتبعها بنظراته ، وقد سحره جمالها وفتنته محاسنها .
ومتى لو كان في عداد المتسابقين ، ل يظهر امامها بطولته
ورجولته . واستعرت في قلبه نيران الحسد عندما رآها تضع
اكليل النصر على رأس غالب العرباني . وجاشت في نفسه
افكار وهواجس شتى ، وخشي ان يكون فوز الضابط
الشاب قد وقع في نفس لمياء موقعا حسنا . وتحققت هواجسه
عندما لمح اضطراب لمياء واحمرار وجهها اثر انتهاء الحفلة .
فاعتزم ان يكون السباق بطلب يد لمياء وقرر ان يتوسط
ابراهيم باشا بذلك فيطلبها له من الامير بشير - صديق والدها
المقرب . وكثيراً ما ساوره القلق وانتابته الهواجس من جراء
النصر الذي احزته غالب . فكان يتحدث نفسه ويقول :
اني اخشى من تعلّق الفتاة به ، والفتيات تعرهنّ القوة
والبطولة .

ثم يتراجع عن ظنونه ويقول : يستحيل ان تتعلق فتاة
كلمياء لها مكانة رفيعة وجمال رائع بجانب الجاه والثروة
بضابط وضع يروى عنه انه لقيط شريد لا حسب له ولا
نسب . لكنني سأعرق كل خطوة تقرب احدهما من
الآخر . والاسراع في الطلب خير وسيلة للنجاح والتوفيق .
فالأوفق ان اعرض امري للباشا والتمس منه ان يوسط
الامير الكبير بالامر . ومتى علمت بمكانة الذي يطلب يدها
ومثلة وسيطه تزول من ذاكرتها ذكريات تلك الحفلة
المشؤومة .

وعلى نفسه بالامال ، يحلم الاحلام الذهبية ويتخيل
السعادة المرجوة بزواجه العتيق ممن احبها وملكت شغاف
قلبه . واستمرت تتجاذبه الافكار لا يقر له قرار ولا يهدأ
له بال . وسار يهيم على وجهه لا يدري الى اي جهة يقصد .
يجلس على رابية تطل على قصر الامير بشير وتبعد عنه نحو
ربع ساعة من الزمن .

وما ان استقر به المقام حتى جاءه غلام من غلمان قصر
الامير بشير يدعوه لمقابلة سعديه خانم . وكانت سعديه قد
استأذنت مولاتها الست حسن جهان لمقابلة قسطه الرومي
فأذنت لها .

وعاد الغلام وقال : ان قسطه بالباب . فقالت : ليدخل .
وابتسمت له وقد القت النقاب على رأسها واشارت الى مقعد
يجلس عليه وهو يتأدب في نظراته . وهذه عادة متبعة في
الشرق . وضرب المثل بها ف قيل : اكرم العبد اكراماً لسيده .

* * *

وكثيراً ما كان للجواري والوصيفات نفوذ ويد في تسيير
امور الدولة واعلاء شأن من يرغب في اعلائه في تلك العصور
الى يومنا هذا .

والتفت اليه وهي تتصنع الدلال وقالت : اتعلم يا
قسطه لماذا دعوتك ؟

قال : لا يا سيدي ! انما اعلم ان على مولاتي الامر
وعليّ الطاعة . فعبك قسطه ليث في ساحة الوغى ، وحمل
وديع في مجلس الجنس اللطيف . وكيف اتواني عن تلبية
اوامرك وانت تحتلين منصباً رفيعاً في هذا القصر ... !

فابتسمت تبدي الحياء وتظهر بالحنج والتواضع
وقالت : خلّ عنك المجاملة وكثرة الثناء يا قسطه . فالامر
الذي دعوتك لاجله هام جداً وعلى جانب عظيم من الخطورة .

واستوت في مجلسها تظاهر الجند والرصانة واردفت قائلة :
 انت تعلم ما يحيط بنا من الحساد وما يهددنا به الاعداء في
 هذه الاونة العصية من الاضطهاد ودس الدسائس . فالولاة
 العثمانيون لا ينامون عن مناوأة ابراهيم باشا ، بجانب ما يبيده
 اللبنانيون من النفور واثارة الحواطر عليه . وبالاخص على
 جيشه الباسل .

وغالى المغرضون في التحامل على القائد المصري وهو
 العزيز على قلوبنا ويهمننا فوزه على الاعداء وانتصاره على
 المشاغبين .

واعلم بانني قد استقيت بعض المعلومات الخطيرة من
 مصدر يوثق به ، نقلها الي حاجب مصري كان يستمع الى
 جدل وحوار أثيرا في مجلس الامير بشير يوم امس . ودار
 الجدل حول استبداد المصريين باهل القرى بسبب جباية
 الضرائب .

وكان اكثر الجميع تحمسا الشيخ منصور الديرياني
 الذي اخذ يحسم هياج الشعب اللبناني في عيني الامير بشير ،
 ويبالغ في الشكوى على الجند المصري ، ويصوره باقبح
 الصور الوحشية . وادخل في ذهن الامير قرب اشتعال نيران
 الثورة وعلان التمرد والعصيان على الحكومة .

اجاب قسطه : يتضح لي مما ذكرت انك تريد ان اببلغ خبر ذلك لابرهم باشا وهذا امر هين سهل . اؤديه بكل طيبة خاطر .

قالت : ليس له لكن لاحد قواده المخلصين .

وكان جل اهتمامها في بعث تلك الرسالة تحريض قسطه والجنود المصري على الشيخ منصور الديراتي والد لمياء . فيؤدي الاتهام الى نفيه او قتله فتتخلص منه ومن ابنته لمياء . مزاحمتها على قلب الضابط غالب العرباني .

ووقفت تظهر الحماسة وفي عينها تلمع شرارات النعمة والحق . وقالت : اعلم يا قسطه ان الامر اخطر مما تظن . وادق مما تفكر . فكن رجلاً مثل عهدي بك ، وثق ان نجاحك في هذه المهمة ضامن لوصولك الى الرتب الرفيعة ، وتكون قد اديت لصاحب مصر جميلاً لا ينساه . ثم مدت يدها الى جيبها واخرجت ورقة ملفوفة وقالت : اليك هذه الرسالة فهل تعاهدني على ايصالها لصاحبها باسرع ما يمكن ؟

اجاب قسطه : اني رهين الاشارة يا سيدي . وانحنى مسالماً ...

فابتسمت له وقالت : الى اللقاء ... سر على بركات الله . وعادت الى داخل القصر وقلبها يرقص طرباً لنجاح

خطتها وتنفيذ مآربها . وقضت ليلة هائلة تحلم بالمستقبل السعيد ، وبانتصارها المنتظر على الاعداء .

وثارت في نفس قسطه عوامل الفضول وتنازعت الافكار والوساوس بسبب تعرض سعديه للحط من سمعة الشيخ منصور وانصرافها الى لومه وتشهيره . ولم تحفَ عليه كلمات التحريض التي شامت ان تبعثها في نفسه . وساءه منها ذلك التحريض الذي لم يعلم له سبباً .

فعول على فض الرسالة ليعرف مضمونها ، لعله بذلك يستدل على الدافع لذلك التحريض والباعث على ذلك الكره والحقد . ففض الرسالة وقرأ فيها ما يلي :

* * *

اخي رفعت

يسؤني ان اخبرك باضطراب الحالة السياسية في لبنان ، فساؤه ملبدة بغيوم الحذر والقلق ، ويخشى اشتعال نار الثورة قريباً . يحرض على امتدادها رجل يدعى الشيخ منصور الديراني فهو النافخ في نارها والباعث على تطاير لظاها وشرارها . والرجل المذكور ذئب في ثوب حمل ، يدعي

الصداقة والمودة للامير بشير - حليف عزيز مصر المفدى .
فاعملوا جهد طاقتكم للتخلص منه والقضاء عليه .

وحاولوا بما لكم من مكانة ونفوذ لنفيه او قتله ، فقامنوا
غدره وشره . واحذرکم من الحونة امثاله . وخير علاج
لتهدئة الحال واستتاب الامن اعدام الرجل ومحو اسمه من سفر
الوجود والسلام ...

سعدیه

ولشد ما كانت دهشته عندما اتم قراءة الرسالة
وازدادت حيرته لانه لم يستدل على الدافع لذلك التحريض
الهائل والباعث على ذلك الكره المخيف . وقال لنفسه :
ساعلم الباعث على ذلك عاجلاً ام آجلاً . واتلف الرسالة بعد
ان مزقها قطعاً قطعاً .

الفصل التاسع

قاعة العمود

هي قاعة مربعة الشكل . فرشّت بالسجاد الفاخر والطنافس النادرة . ونقش على جدرانها نقوش جميلة مذهبة ورسوم متنوعة ملونة ، من ازهار ونباتات ، وايات كتابية وامثال حكيمة وكثير من الايات الشعرية ، واتقن صنع جميع هذه الزينات بشكل جذاب رائع .

فعلى الحائط المقابل لمدخل القاعة كتبت آية كريمة وهي :

« رأس المحكمة مخافة الله »

وعلى الجدار المقابل له كتب ما يلي :

حمد الآله من الولاة وشكره ان ينصفوا بين الانام ويعدلو
فهم الذين على العباد تأمنوا ان الامين عن الامانة يسأل

واقامت على جانبي القاعة مقاعد من الرخام الايطالي الجميل ، تعلوها واجهتان من الزجاج الملون البديع . هذا بجانب الحفر المذهب ، والنقش البديع اللذين زينت بهما

الابواب والجدران . وجميع هذه من مفاخر الصناعة
اللبانية . وخصص الامير بشير تلك القاعة الفسيحة
باستقبال اخصائه ورؤساء ديوانه .

وفي اليوم الخامس لقدوم الضابط جابر الحلواني رسول
ابراهيم باشا استدعى الامير بشير صديقه المقرب الشيخ
منصور الديواني ، والمعلم بطرس كرامه وانضم اليهما
الشاعر نقولا الترك والشيخ ناصيف اليازجي . ولما استتب
بهم المقام طلب الامير من الشيخ ناصيف ان يقرأ الرسالة
على مسمع الحضور .

وبعد ان اتم قراءتها التفت الامير الى الشيخ منصور
يستطلع رأيه . . . فاستوى الشيخ منصور في مجلسه وكان
يقلب سبحة ثميّة لا تفارقه الا عند النوم .

وتنهّد طويلاً ثم قال : يغزو علينا ايها الامير وعلى
كل لبناني مخلص لكم ولوطنه ان يخالف مشيئة الامير
ويتصل من التعاون مع حليفكم المصري ضد مشيري
الفتن ومروجي المشاغبات .

كما يعزّ علينا استبداد الجيش المصري بالشعب اللبناني
الآلي . ولا اكتمك بان النعمة عليهم تشتد بين الخاصة
والعامّة ، بحجاسة ونفور مرير . وقد اشترت لكم عن هذه
الحالة في جلسة سبقت واوضحت فيها سوء العاقبة والمصير .

والتمس ان يأذن الامير لي في نقل ما سمعته بأذني
ورأيت به بعيني من وفد جاء من القرى المجاورة ليعرض
شكواه على سعادتك .

اجاب الامير : قل ايها الصديق ولا تحفِ عنا شيئاً
حما يجب علينا معرفته والاطلاع عليه .

فقال الشيخ : سمعت البارحة جلبة وغوغاء امام
القصر . فتطلعت من النافذة لارى ما الخبر . واذا بي
اطلّ على جمع من الشيوخ والنساء يحملون اطفالهم معهم .

واذا بامرأة تصيح من بينهم وكانت تحمل طفلاً
رضيعاً على يدها وقالت : استجير بك من الظالمين الطغاة
يا ابن الوطن : لقد دخل الجند المصري دارنا يوم امس
فدبحوا الدجاج ، ونحروا الماعز وعددها عشرة لا غير لا
املك سواها كنت استعين بها على اعالة اطفالي اليتامى .

ولم يردعهم ضميرهم عن سلب مال اليتام ولم يصغوا
 لدموعي وتوسلاتي وانتهرني رئيسهم بعد ان اشبعني سباً
 وشتماً وقال : لا بد من تأدية الضريبة للحكومة
 والذي يعجز عن دفع المال يجب ان يؤدي قيمة الضريبة
 بما يملك . وانصرفوا من عندي ليحتلوا دار اخي .
 فرفعت صوتها ترجوهم الرفق باطفالها القاصرين .

فصّوا اذانهم وقسوا قلوبهم . وفرضوا عليها ضريبة
 لا طاقة لها على ادائها . ويا لهول ما ارتكبهه عندما
 عجزت عن دفع المطلوب . ولم يتورعوا عن الاستيلاء
 على كمية ضئيلة من الحبوب كانت تحتفظ بها مؤونة
 لصغارها . وقدموها علفاً لحيلهم ولم يشفقوا على صراخ
 اطفالها ولا الى توسلاتها وبكائها كأن قلوبهم قدّت من
 الصخر .

واستمروا على تلك الحال ينتقلون من دار الى اخرى
 يجبون الضرائب ، ويسوقون الرجال للسخرة ولاخراج الفحم
 والحجر من المقالع البعيدة . وكانت الحكومة الغاشمة تتهن كرامة
 كل رجل تعذر عليه تأدية الضريبة وتسيمه مرّ العذاب .

وتقدم بعدها رجل مسنّ ودموعه تنحدر كالطر من
 عينيه الكليلتين وقال : كنت نائماً في فراشي يا سيدي

لشدة ما الاقيه من آلام العجز والشيخوخة . فافقت على صوت الجند المصري يقتحمون الدار ورؤيسهم يحمل سوطاً من الجلد بيده . فاقترب مني ونزع الغطاء عني بقسوة بربرية وقال : انهض ايها الرجل الهرم المحبول . واسرع بتأدية ما عليك من ضريبة للحكومة وقدرها ٢٠٠ غرش تدفعها نقداً ... فاجبته : انني رجل عاجز لا املك شروى نقير ، اعيش على صدقات المحسنين فمن اين لي هذه القيمة ؟

ولم اكد اتم قولي حتى اخذ سوطه يترق جلدي . وكشف عن جسده واراني آثار الضرب ومياسم السياط .

واردف المسكين : ثم حمل الجند فراشي وهو كل ما املك ووقف ذلك الطاغى جواده على الفراش امام ناظري وقال : جوادي احق منك بهذا الفراش فهو يخدم الحكومة وينفعها ...

ثم اشعل الشيخ منصور شبقه وقال : ويعوزني الوقت ايها الامير اذا اردت تعداد الاراجيف التي سردها علي سمعي ذلك الوفد .

فهل بالامكان تهدئة الخواطر وقمع الثورة بعد هذا العرض الرهيب .

واعلم ايها الامير : اذا لم يبدل المصريون خطتهم
ويعيدوا عن عسفهم واستبدادهم فالثورة ناشئة قريباً .
فمن الحكمة استدراك الشر قبل وقوعه .



فاصغى الامير صامتاً . وكان يحترم رأي الشيخ
منصور ويقدر بعد نظره لا سيما في ما يتعلق بالمشاكل
السياسية . وترشح في مجلسه وقد بدت دلائل الاهتمام
على وجهه وقال : يعلم الله ايها الصديق ان تحالفنا مع
المصريين كان لامنية واحدة وهي دفع التعدي عن لبنان
من قبل الدولة العثمانية لانني لم اجد اقوى من محمد علي
باشا معيناً لنا عليها . وقد حالفته مضطراً بعد ان خابرت
الافرنسيين وعلمت ما علمت من شواغلهم الداخلية التي
لا تمكنهم من مساعدتنا . ومثلهم بقية دول اوربا .

فهل ألامُ وقد اخترت اهون الويلين ؟ كما انني لم
اغفل من تحذير الباشا الى التخفيف من جباية الضرائب
الثقيلة وتنكب اعمال السخرة . فاقنني بقوله انما يضطر
الى ذلك كي يبقى مستعداً للحرب متهيئاً لها . وادى هذا
بطبيعة الحال الى بناء الحصون واصلاح الطرقات التي
يعوزها المال واليد العاملة .

فالتفت المعلم بطرس كرامه الى الامير وقال : كانت

الناس قبلاً تتحدث عن شجاعة محمد علي باشا وبطولة ابنه
ابراهيم باشا غير ان الفرق بينهما ان والده كان ارق جانباً
وامرن سياسة . فحبة الناس لابيه كانت مقرونه بالاحترام ،
اما محبتهم لابنه فمقرونة بالخوف وشتان بين هذه وتلك .

واضاف المعلم نقولا الترك قائلاً : ارى يا مولاي
ان نطلع ابراهيم باشا على جلية الامر وخطورة الموقف .
ونفهمه ما آلت اليه الحالة من الاشتداد والتوتر بعدما
سمعنا من اخبار سيئة وعرض مؤسف .

وانفض المجلس ولم يعلم احد بما جاء في رد الامير على
رسالة ابراهيم باشا سوى الشيخ ناصيف اليازجي - رئيس
كتبة ديوانه فهو الذي اطلع على افكار الامير وكتب
ذلك الرد .

واستدعى الامير بشير الضابط جابر الخلواني وسلمه
الجواب لابراهيم باشا . فحمل الرسالة وعاد مسرعاً

الفصل العاشر

وردة الترك

انتابت الشيخ منصور الديрани وعكة صحية فجائية
لم ينجح فيها دواء ، ولا عناية الطبيب الشهم فرنسيس
الحاصباني - جد عائلة فرنسيس في القليعة مرجعون اليوم -
طبيب الامير بشير .

واشتدت عليه الالام المبرحة ابان اشتداد الثورة ضد
المصريين التي ذهب ضحيتها نخبة من رجال لبنان وابطالها
الميامين . وذلك حين اندفعوا للدفاع عن استقلال بلادهم
والذود عن كرامتهم .

ويخال لمن يتتبع حوادث الدهر القاسية انها لا تأتي
فرادى بل تجيء سلسلة محكمة العقد شديدة الوطأة .

* * *

وما انتشر خبر مرض الشيخ حتى اخذت داره
تقص بالعواد والاصدقاء ، يخففون عنه آلام المرض ، وعن
ابنته لمياء خوفها على حياة ابينا بمواساتهم وموانستهم .

ولم تتخلف وردة الترك عن عيادة الشيخ منصور
والترفيه عن ابنته صديقتها وتلميذتها .

فاستقبلتها لمياء وفي عينيها دموع الاسى وعلى وجهها
دلائل الحزن واللوعة . واسرعت وردة تقبلها وتطيب
خاطرها وتهوّن عليها لهفتها بحسن اسلوبها وطلاقة لسانها .
بعد ان علمت ان سبب مرض والدها الفجائي الذي انتابه
كان عن انفعال نفسياني سببه جدل عنيف جرى بينه وبين
الامير بشير اثر التطورات السياسية .

فقلت وردة : تباً للسياسة الحرقاء . فهي مجلبة
للحزن والمصائب تتوالى علينا من الداخل والخارج ، ومن
الولاء للحلفاء . هوّني عليك يا عزيزتي واصبري على حكم
الله كما صبرت : فان الله مع الصابرين اذا صبروا . ألم
ينكب بيتنا باعز من فيه ؟ ولا اغالي اذا قلت ان
النظر اغلى شيء على قلب الانسان .

ألم يفقد والذي بصره اثر عودته من مصر يوم ارسله
الامير بشير بمهمة سياسية لجس نبض الافرنسيين ومعرفة
مدى استعدادهم لنصرة ابراهيم باشا خليف الامير على
الدولة العثمانية .

فعاد ويا للأسف يحمل الرمد الصيدي المصري
 تي عينيه . ووعوداً لم تنجز ومن ثم أصبح جبلنا ضحية
 الوعود ومطية الطامعين . فوالدك والدي في عداد ضحايا
 المحالفات والمعاهدات الاثيمة .

* * *

وصمت وردة تتأمل الكتابة المرتسمة على حيا لمياء
 واسفت لمصاها فقركت مجلسها واقتربت منها ثم احاطت
 عنقها بذراعيها واخذت تقبلها وتمسح دموعها .

ثم قالت : ما لنا وللسياسة العاشمة يا عزيزتي .
 ونحن لسنا من اربابها ووالدك معافي باذن الله . انبذي
 النعم والههم جانباً . ولنتحدث عن امر مستقبلك . اصدقيني
 القول يا لمياء . ألا تزالين مصرّة على الذهاب الى الدير
 والاعتكاف به ؟

اجابت لمياء : هذه امنيتي منذ عرفت الشر من الخير
 لكن والدي يأبى عليّ تلك الامنية لانني وحيدته
 ووارثه اسمه وثروته . ومما يحزّ في نفسي كثرة طلاي في
 الاونة الاخيرة . وجلهم يتودد الى والدي رغبة في الوصول
 الى امنيتهم والتمتع بتلك الثروة فقط .

ولم اكن ادري ان والدي يكتّم سرّاً عني ووعداً
قطعه لامي يتعلق بمستقبلي . اخذته عليه وهي تحتضر .
وعرفت ذلك منذ اسبوعين فقط .

اجابت وردة : اتمي حديثك يا عزيزتي فانه غريب
مدهش . وما هو ذلك السر الذي كتّمه والدك عنك
طول هذه المدة .

تأوهت لمياء وقالت : علمت ذلك في يوم من ايام
تشرين سنة ١٨٣٩ كما ذكرت لك . فدعاني والدي بعد
ان مهد السبيل للافضاء لي بذلك السر الى نزهة وقضاء
النهار في مرج يملكه يبعد مسير نصف ساعة عن قصرنا .
وكان الافق صاحياً والنسيم عليلًا يزيد في بهجته تغريد
البلابل الميكرة وزقزقة العصافير المتنقلة .

ولبست عبااتي وتلثمت بالكوفية هرباً من تطفل
المارة واجتئاب نظراتهم وامتطيت فرسي وسرت الى حيث
كان ابي بانتظاري .

والترم الصمت والدي على غير عادته . ولم يكلمني
سوى بضع كلمات مقتضبة كأن يسألني اذا كنت بحاجة
لامر ما ، او اذا كنت مرتاحة .

فساءني سكوتهُ وحسبت له الف حساب . وعهدي
 به منشرح الصدر بادي النشاط ، وطالما حاول ادخال
 البهجة والسرور الى قلبي باساليب شتى . واخذت اتساءل
 عن سبب صمته وعن دلائل الكتابة المرتسمة على وجهه
 فلم اهتد .

ووصلنا الى المريج وبعد ان اخذنا قسطاً من الراحة
 نهض والدي واثار الى مربيتي ياقوته التي صحتنا تحمل زاد
 النهار وقال : لا تغفلي عن الفرسين في غيابنا واتركيها في
 المرعى الى ان نعود .

ومشى والدي ويده في يدي ولم ادر بانه يقتادني الى
 ضريح امي ولم يكن قد جاء على ذكره البتة . وبدا لنا
 ضريح نصب فوقه صليب حجري ، يضم رفات امي .

وسبقني ابي وجئا الى جانب الضريح واخذ يصلي ويتمم
 بكلمات متقطعة مقرونة بالخرن والحشوع .

فجثوت الى جانبه ولم اتمكن من كبت دموعي واطلاق
 العنان لزفرااتي وارتفع صوتي بالبكاء عندما قرأت اسم امي
 على بلاطة القبر .

فنهض والدي وجعل يربّت على كتفي يتدفق الحنان في

صوته المتهدج وقال : تشجعي يا فتاتي وكفكفي دموعك .
فأله وحده كفيل اليتامى وملاذ الخزانى .

فقلت وردة : لله ما اقسى الموت وما امرّ فراق الاعزاء !

وارسلت ليماء تنهدة حارة واردفت : ثم امسك ابي
بيدي وجثونا معاً امام القبر . واحنى ابي رأسه بنحشوع
واحترام وقال : انني اشهد رفات امك على صدق ما ساقوله
لك يا حبيتي .

* * *

كانت الروح تتحشرج في صدرها عندما اقسمت لها ان
انفذ كل ما توصي به دون ان اخلّ بحرف من وصيتها .

فدّت يدها الهزيلة وامسكت بيدي وقالت : احلفك
بكل مقدس في السماء وعزيز لك على الارض ان تربط حياة
ابنتنا ليماء برباط الزواج المقدس بحياة ابن اختي مرتا التي
تقطن في عينطورا ، والغلام اكبر منها ببضع سنوات فقط
وكلاهما وحيد ، وطالما تمنيت واختي تحقيق هذه الامنية . اما
اذا حدث ما لم يكن بالحسبان فلتتزوج بمن تهوى ولتكن لها
حرية اختيار نصيبها .

فاقسمت لها بذلك . فاشرق وجهها بنور الغبطة
وابتسمت ويدها ممسكة بيدي واسلمت الروح .

فقلت وردة : غريب امر هذه الوصية . ولست اذكر
اني سمعتك تذكرين تلك الحالة مرة واحدة . ولا سمعنا انها
جاءت لزيارتكم .

اجابت لمياء : وانا اشد استغراباً منك .. وجلّ ما
اذكره انها جاءت لزيارتنا مرة واحدة فقط وكانت تصحب
ذلك الغلام ، وكنت طفلة . وكل ما علق بذاكرتي كان
كطيف في الكرى مرّ كغيره من الاحلام . ولم نعد
نسمع عنها شيئاً عقب وفاة امي .

وعند عودتنا من زيارة الضريح اخبرني ابي بانه بذل
جهوداً جبارة لمعرفة سبب تخلفها عن زيارتنا فلم يهتد . وبعد
سعي متواصل علم باختفائها مع ولدها اثر ثورة لحفد وعامية
انطلياس الشهيرة . وحاول كثيراً الاهتداء الى مقرهما فلم
يفلح .

اجابت وردة : اذن لقد اصبحت في حلّ من الوفاء
بذلك القسم وتنفيذ تلك الوصية . واصبح بإمكانك الزواج
من تهوين .



وردة الترك — الادب البغاني

وثقي بان والدك حيّاه الله وابقاه سنداً لك وذخراً لا
 يقف في سبيل هناءك ، وهو حريص على سعادتك اشد الحرص .
 ولا اكتسك بان لوالدك منزلة رفيعة في قلب والدي .
 ويشهد له بكرم الاخلاق ويقدر فيه طيب العنصر والوفاء .
 اصدقيني القول يا لمياء . اصحيح ما يروى عن هيام
 الضابط غالب العراباني بك ؟

فأطرقت لمياء يخبرها الحياء وقالت : لو خيّرت في امري
 لما اخترت سوى الزهد والتنسك كي اصرف مدة حياتي
 بالصلاة والتعب والانقطاع عن العالم بالابتعاد عن مشاكلك
 وشروره . وهل بامكاني لجم السنة الناس عن نشر
 الروايات . آه يا صديقتي كم اتمنى لو يتيح الزمن لبنات جنسنا
 اختيار نصيبهن وتقرير مصيرهن بانفسهن دون تدخل الاهل
 والاقرباء .

فقلت وردة : كفالك تشاؤماً في الحياة وزهداً يا
 عزيزتي . وارك تهرفين بما لا تعرفين ... اتظنين ان حياة
 الرهبنة سهلة هيئة . وهل تقوين على حياة الزهد والتقشف
 المضنية ؟ ! وانت ربيبة الدلال والقصور ... تبصري يا لمياء
 في الامر قبل الاقدام عليه . وساعرض امراً عليك ارجو ان
 يجحد قبولاً لديك .

فقلت لمياء : ساقبل ذلك العرض اذا كان بامكاني
القيام به .

اجابت وردة : اعتزمت على اصطحابك لزيارة دير
السبع بنات . فيتاح لك عندئذ الاطلاع على نظام الراهبات
وطرق معيشتهم . وعندها تقررين مصيرك بعد اختبار ذلك
بنفسك . واكون انا قد وفيت نذري الذي نذرته
لكنيسة السيدة في الدير .

فاتفقتا على زيارة الدير في الاسبوع التالي وانصرفت
وردة الى بيتها .

الفصل الحادي عشر

زيارة دير السبع بنات

استفاقت لمياء في صباح اليوم المعين لزيارة دير السبع بنات برفقة وردة الترك . وكان يوماً من ايام الخريف الجميلة ، عندما ولّت جيوش الظلام الادبار امام طلائع النهار وكان نسيم الصباح يهب عليلًا فينعش الارواح وينشط الابدان . واسرعت بارتداء ملابس تليق بزيارة الدير ومقابلة راهباته . وطلبت الى مربيتها ياقوته ان تهنيء هدية قيّمة ترغب في تقديمها للاخوات الراهبات .

ثم امرت باعداد فرسين لها ولرفيقتها وردة . وهياً الخدم جميع المعدات اللازمة لتلك الرحلة التي تستغرق خمسة ايام ذهاباً واياباً . واسرعت لمياء للقاء وردة عندما اطلت على القصر . وامتطت كل فرسها واخذت يسير في ركاب كل منهما حارس يتقلّد السلاح ويحمل العصا تحسباً للطوارئ التي انتشرت في تلك الاونة اذ عمت الفوضى واختل الامن ، وانتشر قطاع الطرق يتلمسون العيش بسلب المارة ونهب ما يحملون عدا عما يواجههم من الوحوش الضارية والزواحف السامة .

وواصلتا السير الى وقت الظهيرة فترجلتا بالقرب من غدير
ماء كثرت على جانبيه الاعشاب النضرة . وقمايلت بقربه
اشجار الخور والصفصاف الظليلة . جلستا في افيائها للاستراحة
وتناول الطعام . ثم نهضتا تواصلان السير باتجاه الدير .



وقبل ان تلم الشمس اذيها الذهبية المنتشرة فوق
المرتفعات الجبلية لاح لهن بناء الدير وما يحيط به من
كروم وسور . فترجلتا وخلعت كل منهما حذاءها ومشتا
حافيتي القدمين الى باب الدير .

واسرعت الاخت شهيدة ففتحت البوابة واستقبلت
الزائرتين عندما سمعت صهيل الفرسين وقرع الباب . وبعد ان
رحبت بهما قادتاهما الى غرفة الضيوف التي كانت بالقرب من
المعبد الصغير الذي اقيم على اسم السيدة العذراء .

وعادت الى الخارج حيث وقف الحارسان واسارت لهما
الى مرابط الخيل بعد ان سلمتهما مفتاح غرفة صغيرة الى جانب
الاسطبل . واعتذرت لهما لابقائهما خارجاً وقالت : ان قانون
الدير لا يسمح بدخول الرجال اليه والتزول فيه .

ودخلت لمياء ووردة تَوّاً الى المبد وجثت كل منهما
تصلياً وتضرع الى الله ان يقبل نذرهما ويستجيب دعاءها .
وامتزجت صلوات لمياء الحارة بدموع سخية بينما كانت تقرر
صدرها وتبتهل الى الله كي يشفي والدها ويرحم وحدتها .

واستمرتتا جاثيتين اكثر من ساعة ونيف تصليان وتبتهلان
نوما عثم ان سمعتا جرس العشاء يدق فنهضتا من مركعهما
واتجهتا ناحية الباب حيث كانت بانتظارهما الاخت شهيدة .
فادخلتهما قاعة صغيرة فرش في ارضها حصير صغير ، وتركتهما
هنيهة ثم عادت تحمل طبقاً مستديراً ضنع من قش القمح
وعليه بضعة ارغفة من خبز الشعير وصحن مجردة وباذنجان
مقلي وبصلتين وبعد ان رُفع ما تبقى من الطعام جاءت
الاخوات ورحبن بالضيفتين الزائرتين واعتذرن عن قصورهن
تجاههما .

ثم اشارت رئيسة الدير الى الاخت مرتا كي تعد لهما غرفة
الضيوف للمقامة . فاسرعت واحضرت قطعة بساط من الشعر
وضعت فوقه وسادة صغيرة وغطاء من الشعر ايضاً لاكل منهما
ثم تمت لهما نوماً هانئاً وليلاً هادئاً . وقبل انصرافها قالت :
اني في خدمتكما اذا احتجتما لامر ما فلا يقلقكما ايقاظي ،
وها غرفتي في الجهة المقابلة لغرفتكما ، وسارت الى غرفتها
بعد ان ودعتها .

ولما انفردتا التفتت وردة الى لمياء وقالت : ما اصعب
 عيشة الزهد والتقشف يا عزيزتي ! وما اقسى الامها ! انهضي
 يا لمياء عن هذا البساط الحشن . فاني اشعر بالدم يسيل من
 قدمي لحشونته وأحس بان سقف هذه الغرفة سيطبق على
 راسي . هلمي فجلس خارجاً ، تعالي معي يا لمياء فبعد قليل
 يتكبد القمر وجه السماء فيؤنسنا بنوره ويرافقنا بضياءه الى
 ان يلوح الصباح .

* * *

فنهضتا وخرجتا الى الخارج وجلستا كل على حجر الى
 جانب الغرفة . واخذتا تتحدثان عن عيشة الدير القاسية وحياة
 الراهبات المؤلمة . وسمعتها الاخت مرتا تتحدثان وتلتسامران
 فظنت انهما بحاجة الى امرٍ ما فخرجت من غرفتها لترى سبب
 قلقهما . وسألتها هل من حاجة اقضيها لكما ؟

اجابت لمياء : اجلسي الى جانبي ايتها الاخت فنقضي
 الليل بالسمر وتحف عنا وطأته الثقيلة . فقد أرقنا ولم نستطع
 الرقاد . فجلست الاخت مرتا بقرب لمياء وقد احنت رأسها
 الى اسفل واسندت رأسها بيدها .

— وسألتها وردة : منذ كم سنة تقيمين في الدير يا اخت ؟

— اجابت : منذ خمس عشرة سنة على ما اظن .

— وقالت وردة : هل لك اهل ؟

— فتأوهت مرتا طويلاً واجابت : وهل من مخلوق بدون اهل في هذا العالم يا سيدي ؟

— وردة : ومن اي بلد انت ؟

— مرتا : من عينطورا المتن .. هل تعرفين احداً فيها .

واصغت لمياء لحديثهما وسرعان ما شعرت بعاطفة قوية تشدها الى تلك الاخت . وترحزحت قليلاً عن المقعد الحجري وادارت وجهها ناحية الاخت مرتا وقالت : يا للصدف العجيبة .. انك من بلد خالتي اخت امي واسمك يشبه اسمها تماماً ، لولا ان تلك متروجة وانت عذراء فامي وخالتي كانتا وحيدتين لوالديهما هما مريم ومرتا . هل تعرفينهما ؟

فرفعت الاخت مرتا راسها واخذت تتفرس في وجه لمياء ثم سألتها : وما اسم ابيك يا سيدي ؟

اجابت لمياء : اسمه الشيخ منصور الديراني ولم يرزق غيري لان امي توفت منذ زمن بعيد .

ولم تتم لمياء كلامها ، حتى سمعتا صرخة تحتق في فم الاخت مرتا وعلى الاثر وقعت مغشياً عليها لا تبدي حركة تدل على

الحياة . فذعرت لمياء ووردة للحادث وحارتا في امرها وهما غريبتان لا تعلمان شيئاً عن مداخل الدير ومخارجه ، واسرعت لمياء تقرع باباً بالقرب من مخدع الاخت مرتا ، حيث لمحت الاخت شهيدة تدخله .

ونفضت الاخت شهيدة متباطئة وفتحت الباب . فاخبرتها لمياء بما جرى للاخت مرتا . واعتذرت لها لاضطرارها على اغلاق راحتها .

ولم تتوان الاخت شهيدة عن اسعاف الاخت مرتا فجاءتها بالمنعشات والمنبهات الى ان عادت الى وعيها لكنها كانت في حالة اعياء شديدة فحملنها الى مخدعها واغلقت الباب وراءها . غير ان بكاءها ونحيبها كان يصل الى مسامعهن دون انقطاع ويفقت الاكباد . ولم يتمكن من كبت دموعهن والرتاء لحالتها المؤسفة .

وجلست الاخت شهيدة بقرب لمياء مكان الاخت مرتا وعدن للحديث وسألتها لمياء عما اصاب الاخت مرتا وقالت : هل ما حدث للاخت مرتا ناتج عن الحزن او عن المرض ؟

اجابت شهيدة : لست ادري يا سيدتي وكل ما اعلمه انني وجدتها فاقدة الوعي ومغمى عليها قرب باب الدير وذلك

منذ خمس عشرة سنة تقريباً . وتلافيت واخواتي نكاً
جراحها والتعرض لسوأها عن امرها ومصاها ، لانها كانت في
حالة حزن مستمر ونواح متواصل ... وتأبى ان تتغزى .

وقالت لمياء : الم تحاولي مواساتها وانتزاع سرّ حزنها ؟

اجابت شهيدة : لقد حاولت ذلك يا سيدتي . فسألتها
عن اهلها مرة ورجوتها ان تخبرني عما سبب حزنها .

فتفرست في وجهي ثم تنهدت بآلم وحرقة وتساقطت
دموعها كالسيل واصابتها رجفة قوية انقلبت الى نوبة عصبية
حتى اغمي عليها . ومنذ تلك الحادثة لم احاول واخواتي سوأها
عن سبب حزنها ولا عن سبب وجودها قرب الدير .

— وقالت وردة : وانتِ منذ كم سنة دخلتِ الدير
يا اخت ؟

— اجابت شهيدة : منذ خمس عشرة سنة وثلاثة اشهر يا سيدتي

— وردة : ومكان عمرك حين دخلتِ الدير ؟

— اجابت : قدر ما قضيت فيه بالتمام .

— وسألتها لمياء : ومن اي بلد انتِ ؟

— اجابت من غريفه الشوف

- لمياء : وهل اهلك على قيد الحياة ؟
- فتأوهت شهيدة وقالت : لست ادري يا سيدتي لاننا منقطعات عن العالم لا نزر ولا نزار .
- لمياء : الا يزورونك ولو مرة في السنة او السنتين ؟
- شهيدة : كلا يا سيدتي . لان اهلي يعتقدون انني في عالم الاموات منذ زمن بعيد .
- لمياء : هل كان مجيئك للدير بالرغم منهم ؟
- تنهدت شهيدة واجابت : يصعب عليّ الاجابة على سؤالك هذا لانهم لا يعلمون انني حية ارزق كما ذكرت
- لمياء : ولماذا لم تخبريهم بامرك .
- شهيدة : لانّ ظروفًا قاهرة تحتم عليّ الاختفاء والتكتم .
- وسألتها وردة : هل كنت تدعين بغير هذا الاسم قبل دخولك الدير ؟ لان اسمك يلتبس به الصفة والاسم . او لعل قانون الدير يحتم تغيير الاسماء بعد دخوله ؟
- اجابت شهيدة : لله درك يا سيدتي .. فاستنتاجك في محله وهذا يدل على نباهتك وشدة ذكائك . فانا لم اكن ادعى بهذا الاسم قبلاً .

— وسألتها لمياء : وماذا كنت تدعين يا اخت ؟

— اجابت شهيدة : لا بأس من ذكر اسمي الاول لك .
كنت ادعى هدلا الشوفي .

— لمياء : هل ترغبين ان اوصل خبر وجودك حية ترزقين
الى ذويك واعلمهم انك تقيمين في هذا الدير ؟

صمتت الاخت شهيدة واطرقت برأسها الى الارض ولم تجب



واردفت لمياء : ثقي يا اخت انني على استعداد لتأدية
هذه الخدمة بكل طيبة خاطر لك . وقدري كم يكون فرح
امك وسرور ذويك عندما يعلمون بوجودك على قيد الحياة .
ويعرفون مقرّك .

اجابت شهيدة : كنت اود ذلك لولا الظروف القاهرة
التي توجب علي التخفي والكمّان .

فقالت لمياء : لا ضير عليك يا اخت اذا حدثتينا
بقصتك واخبرتينا عن الاسباب الموجبة لما ذكرت . فرفيقتي
وانا غريبتان . لا نذيع لك سراً ونعاهدك على كتابته في
اعماق صدورنا . واستاعنا لحديثك يسهل علينا قضاء قسم
كبير من الليل فنسهر وننسامر ولا نشعر بثقل وطأته علينا .

ولا تخفي عليك باننا لم نقوَ على الرقاد والاعفاء على
قراش خشن لم نتعوده .

تنهدت الاخت شهيدة وقالت دعوني اقول مع القائل :

ان حظي كدقيق بين شوكِ بذروه
ودعوا قوماً حفاةً يوم ريح يجمعوه
صعب الامر عليهم قالوا لهم اتركوه
ان من اشقاه ربي كيف انتم تسعدوه

اجابت وردة : هوّني عليك يا اخت ولا تقنطي من
رحمة الله وهل فاتك قول الشاعر :

ان الامور اذا التوت وتعقدت جاء القضاء من الكريم خَلَّها
فعلَّها ولعلَّها ولعلَّها ولعلَّ من عقد العقود يحلَّها

اجابت شهيدة : تبدأ قصتي بمأساة بشرية مُثلت فصولها
منذ بدء الخليقة على مسرح الدنيا ، اي ليس جديد تحت
الشمس . وتتلخص مأساتي في تمثيلية سيطرة الرجل القوي
المستبد على المرأة الضعيفة المستسلمة ، سواء اكانت زوجة ام
ابنة ام امّاً ام اختاً لذلك الرجل الظالم .

فمنذ ابتداء الخليفة وهو وحده يقرر مصيرها ، ويعبث
برأيها ومشيتها اذا عنّ له ذلك ، راق لها قراره ام لم يرق
والويل لها اذا تمردت ورفضت ما يفرض عليها من احكام
ومصير ، فجراؤها الموت المحتم والبطش الذريع .

قالت ليماء : يا للعجب وهل يبلغ الرجل هذا المقدار
من الظلم والحسونة ؟

تأوهت شهيدة وقالت : اراك تحاولين الوقوف على
مأساتي المروعة فلتكن مشيتك واخذت تسرد حوادث قصتها
مع سمان الدير كما سبق ، وكيف احتال اخوها على قتلها
الى اخر القصة . وتابعت الكلام بعد ان تفرست في وجه
الزائرتين وقالت :

وتشأ الاقدار ان يمرّ بي احد المسافرين وهو في طريق
عودته الى بلده ، فسمع صوت انيني واستغاثتي ، فبادر الى
ناحية الصوت . ووجدني مهشمة الاعضاء يسيل الدم غزيراً
من جراحي . فضمد جروحي بعد ان سكب عليها زيتاً كان
يحمّله ، واركبني على دابته .

ورثي المسافر لحالي وجعل يسألني عن سبب سقوطي في
تلك الهاوية ووجودي منفردة في ذلك الوادي السحيق . فلم

أَقْوَى عَلَى أَجَابَتِهِ . وَكَيْفَ أَخْبَرَهُ عَنْ فِطَاعَةِ مَا ارْتَكَبَهُ أَخِي
مَنْ جَرَمَ مِنْكَرٍ وَأَنَا لَمْ أَقْتَرِفْ ذَنْباً .

فَظَنَّ الرَّجُلُ أَنَّ سَقُوطِي تَأْتِي عَنْ زَلَّةٍ قَدَمِي . وَلَمْ يَدْرِ
فِي خِلْدِهِ أَنَّهَا جَرِيْمَةٌ بَرْبَرِيَّةٌ وَجَنَائِيَّةٌ وَحَشِيَّةٌ . وَهَكَذَا يَا سَيِّدِي
انْطَمَسَتْ مَعَالِمُ تِلْكَ الْجَرِيْمَةِ وَاخْتَفَى خَبْرِي وَآثَرِي .

وَشَاءَ الْمَسَافِرُ الْكَرِيمُ أَنَّ يُوَصِّلَنِي إِلَى أَهْلِي فَسَأَلَنِي عَنْ
اسْمِ بَلَدِي وَإِلَى أَيْنَ أُرِيدُ أَنَّ يُوَصِّلَنِي ، فَرَجَوْتُهُ أَنَّ يُوَصِّلَنِي إِلَى
هَذَا الدَّيْرِ الْبَعِيدِ ، فَكَثِيراً مَا كُنْتُ أَسْمَعُ بِاسْمِهِ وَذَلِكَ عِنْدَمَا
كَانَتْ تَجْمَعُ أَحَدَى رَاهِبَاتِهِ تَجْمَعُ النُّذُورَ وَالصَّدَقَاتِ لِلدَّيْرِ
مَرَّةً كُلِّ سَنَةٍ .

فَتَحَرَّكَتْ عَوَاطِفُ الشَّفَقَةِ فِي قَلْبِ لَمِيَاءَ وَاحْتَسَتْ بِنِغْصَةِ
الْفَتَاةِ الْمُؤَلَّمَةِ فَقَالَتْ لَهَا : حَقّاً أَنَّ مَأْسَاتِكَ مَرْوَعَةٌ فَطِيعَةٌ ،
أَثَارَتْ أَشْجَانِي وَشَفَقْتِي . وَأَوْدَ أَخْرَاجَكَ مِنْ هَذَا الْمَآزِقِ
الْحَرَجِ الَّذِي لَجَأْتَ إِلَيْهِ هَرَباً مِنَ الظُّلْمِ وَالْإِسْتِبْدَادِ وَلَيْسَ بِلَمْ
أَرَادَتِكَ وَاخْتِيَارِكَ . فَإِذَا شِئْتَ أَيْتَهَا الْاِخْتِ الْإِحَادِ حَلِّ
لِحَكَايَتِكَ فَأَنَا عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِلْسَّعْيِ فِي حَاطَا . وَسَيَكُونُ
إِعْتِمَادِي عَلَى ذَلِكَ : بِتَوْسُطِ وَالَّذِي لَدَى الْإِمِيرِ بِشِيرٍ بَعْدَ أَنْ
أَرَوِي لَهُ قِصَّتَكَ فَيَعْرِضُهَا عَلَى الْإِمِيرِ الْكَبِيرِ فَيَنْصَفُكَ وَيَجْمَعُكَ
مَنْ تَحْبِينُ .

صمتت الاخت شهيدة واطرقت براسها الى الارض
ووافصحت عبراتها اللؤلؤية عن الامها النفسانية وعما تقاسيه من
آلام وحرمان .

ثم اخذت الديكة تصيح صيحات متوالية معلنة قرب
انبلاج الفجر . وقرع جرس الدير يعلن موعد صلاة الصبح .
فنهضن ودخلن المعبد وكل تصلي وتطلب الفرج من الله .



ودعت وردة ولما راهبات الدير بعد ان مكثتا فيه
ثلاثة ايام بكاملها . غير انهما لم يتركا الدير قبل ان يستعلما
عن الاخت مرتا التي كانت لا تزال منكشمة على نفسها
وقد انحرفت صحتها اثر تلك السهرة . واوصت الراهبات
بان لا يزعجها احد .

وشعرت لىء بدافع قوي يشدها الى الاخت مرتا وتمنت
لو يسمح لها بدواعها ومواساتها .

فاقتربت خلصة من مخدعها ونادتها باسمها وقالت : سلامتك
يا اخت مرتا . لقد ساءني المحراف صحتك . اننا عائدتان
الى بيوتنا . ادعي لنا بالسلامه واذكرينا في صلواتك .
فالله يستجيب صلوات المتعبدات المتقشفات . ولم تسمع لىء
جواباً على كلامها سوى بكاء الاخت مرتا بصوت مرتفع .

ولما ابتعدتا عن الدير التفتت ورده الى لمياء وقالت :
 الا ترالين مصرّة على الانقطاع عن العالم وارتداء ثوب الرهبنة ؟
 هزّت لمياء رأسها واجابت : الله يعلم ذلك ولتكن مشيئته .
 قالت ورده : وهل تقوين على احتمال حياة الدير القاسية
 بعد ان لمست ذلك لمس اليد ؟ !

واجابت لمياء : سأعود نفسي على احتمال الالام الجسدية
 اذا شاء الله ودخلت الدير ، لأربح رضى المولى وأريح
 ضميري وقلبي بابتعادي عن متاعب الحياة ومشاكلها .

فابتسمت ورده وقالت : يخال لي ان لكل اخت
 مأساة وقصة تدفعها للالتجاء الى الدير . وثبت لي ذلك
 بعد ان سمعت حكاية الاخت شهيدة . وما رأيت ولمست
 من انعماء الاخت مرتا . ولست ادري الدافع لرهبنة بقية
 الاخوات لان المدة القصيرة التي قضيناها في الدير لم تمنح
 لنا الاحتكاك بهن والاستماع الى حكاية كلّ منهن . غير
 انني اعتقد ان الدير ملجأ للتائبات وحصن منيع للمتعبات .
 فتنهدت لمياء ولم تجب .



الاختان مرنا وشرجه

الفصل الثاني عشر

بوادر الثورة

ولم يطل الوقت حتى ظهرت بوادر الثورة في جبل لبنان
واخذت تشتد وتشتعل بشكل مريع وكان ذلك في اوائل
سنة ١٨٤٠ .

فاضطر ابراهيم باشا الى سحب جيوشه من السواحل
والاعتصام في الجبال ، بعد ان اشتدت على رجاله المطاردة
من كل النواحي فما لبثوا ان انهزموا من سوريا ولبنان .

وتم جلاؤهم الى مصر بعد ان قاسوا اهوالاً لا توصف
ومات منهم ألف على الطريق . غير ان نفراً من القواد
والضباط تمكن من الفرار والالتجاء الى بيت الدين يحمون
بالامير بشير .

وكان جابر الحلواني رفيق غالب العرباني بين اولئك
الضباط اللاجئين ، فاضطر الامير الى اخفائهم في احد الاديار
بعد ان اوصى بهم رئيس الدير ورهبانه .

فرحب الرئيس بهم وكتب امرهم واوصاهم بالتخفي
والتستر بعد ان البسهم لباس الرهبان . واسم ذلك الدير

(دير مار ساسين للرهبان الانطونيين قرب برمانا) .

ونال اخصاء الامير بشير واصدقائه الاضطهاد الشديد من رجال الثورة والداعين اليها ، واندفع اكثرهم اندفاعاً اعمى بغية الانتقام والاخذ بالثأر من الموالين للمصريين .

فكانوا يقدمون على احراق قصورهم وسلب دورهم . يروعون الامنين في بيوتهم اذا تمنعوا عن السير في ركابهم ورفضوا مساعدتهم للانتقام من اعدائهم والاخذ بالثأر من مستخريهم .



وثورة الشعب لكرامته وحقه مريعة وهائلة ، لاسيما العامة منهم ويشبه انتفاضهم بنار آكلة متأججة تندفع في سيرها اندفاعاً هائلاً وتلتهم الاخضر مع اليباس . وغالباً تأخذ البريء بجريرة المجرم . او كتيار ماء منحدر يجرف في طريقه كل ما يجده من جماد او حيوان . وويل للظالمين يوم ينتفض عليهم المظلومون ويثرون لنيل حقهم والاحتفاظ بكرامتهم . ولم ينجُ قصر الشيخ منصور الديрани من طغمة الثوار واذى المنضمين اليهم . فذوو الاغراض الدنيئة ينتهزون مثل تلك الفرص لتحقيق مآربهم السافلة في كل العصور .

وكان قد مضى على وفاة الشيخ منصور اكثر من شهرين حيث رقد رقدته الابدية الى جانب زوجه الفتية . وترك

فتاة وحيدة ثرية فريسة الوحدة واليتم . والاجل المحتوم لا
يرحم شيخاً ولا يرثي ايتيم .

خزنت لمياء لفقدته حزناً شديداً وناحت على فراقه نوح
الورقاء ورثته بكلمات مفجعة اشبه برثاء الخنساء . وأبت
ان تتغرى بعد ان اغلقت باب القصر بوجه كل طارق ،
وانكمشت على نفسها تندب حظها وتفكر في ما ينجي
الدهر لها في جعبته من بلايا ومصائب ، بجانب خفيعتها بامها
وابيها . ولم تغلح مربيتها ياقوته على اعادة الغراء لقلبها وتفريج
كربتها . ففي ذات صباح دخلت غرفة سيدتها وجثت الى
جانب فراشها ثم امسكت يد مولاتها واخذت تقبلها وتذرف
الدموع السخية . وقالت : انهضى يا سيدتي .. واشفقي
على صباك وارفقي بصحتك .. فالخرن ذهب بنضارة وجهك
والبكاء اذبل نور عينيك . فالخرن والبكاء لا يعيدان
الموتى الى الحياة .

انظري الى الخارج وتألمي جمال النهار ، فما زقرقة العصفور
وتغريد البلابل تريدان في بهجته وكل ما يحيط بك زاه
مبهج ، ابتسمي للحياة تبسم لك . كفاك تشاؤماً ، ولم
تتشاءمين ؟ وقد حباك المولى كل ما تتمناه فتاة في
عمرك . فوهبك جمالاً ومالاً يليقان بك . ويتمنى الامراء

وارباب المناصب نظرة عطف منك . وكلهم يطلبون رضاك
فالى متى تتذكرين لكل طالب وراغب ؟

تنهدت لمياء واجابت : اعلمي يا ياقوته ان الحزن
اغلق قلبي ، وفقد والدي جعلني ازهد في الدنيا واتنكر
للاهيها . . آه يا ياقوته لو لم اعاهد والدي واقسم له ان
لا ادخل الدير قبل بلوغي التاسعة عشرة من العمر لكنت
دخلته عندما خرج جثمانه من باب القصر .

وخيل لهما ان وقع اقدام تقترب من القصر .
فاسرعت ياقوته لترى من القادم وتعلم ان كان صديقاً ام
عدواً ، بسبب انتشار الشوار وقطاع الطرق في تلك الايام .

واطلت ياقوته من شرفة تطل على مدخل القصر ،
فبدا امامها رجل جاحظ العينين كثيف الشاربين ربع
القامة غليظ الرقبة يرتدي لباس الفرسان .

— فسألته : ما هي حاجتك ايها الفارس ؟

— اجاب : اريد مقابلة ربة القصر .

— اجابت : ان مولاتي ترفض مقابلة اي انسان
بداعي الحداد .

— اجاب : لا بأس عليها من مقابلتي ، افتحي الباب

وافسحي الطريق .. وقولي لمولاتك : انني لا اخرج من هذا القصر قبل مقابلتها ولو اضطرت للاقامة فيه شهراً كاملاً .

فعادت ياقوته الى مولاتها وهي ترتجف من الرعب وقالت : مولاتي ان فارساً بالباب يصّر على مقابلتك يصحبه عشرة فرسان اشداء شاكى السلاح . لم يبال بقولي عندما افهمته انك لا تقابلين احداً واقتحم الدار قسراً عني دون انتظار جوابك .

فاضطربت لمياء وقالت : من يكون هذا المتطفل الوقح وما شأنه ؟ ادخله الى قاعة الاستقبال وسأوفيه بعد هنيهة . وبعد ان فكرت في ما يكون الدافع لذلك الفارس المجهول لاقتحام قصرها ، نهضت وارتدت ثيابها بعد ان اخفت بينها خنجراً مسموماً وعدارة سريعة الطلقات لانها كانت قد اعترمت على قتله اذا عجزت عن الدفاع عن شرفها والذود عن امتهان كرامتها . او اذا اراد سوءاً بها .

دخلت لمياء قاعة الاستقبال ترفع رأسها بانفة واباء . وكانت تفكر في من يكون ذلك المتطفل ، والراغب في مقابلتها قسراً .. وسرعان ما اعترتها الدهشة عندما وقع نظرها على ذلك الزائر الوقح الذي لا تذكر انها تعرفه او رآته من قبل .

فوقفت مقابله دون ان تمد يداً لمصاحفته وسألته : ما
هي بغيتك من مقابلتي ايها الرجل ؟ وقد علمت بان لا
رجال تحمي القصر من المعتصين الاذنياء ولا حرس يردع
الراغبين بزيارتنا قسراً .

وعهدنا بالجند والفرسان يحمون الديار ويحافظون على
الامن . وما اعتدنا ان نراهم يروعون النساء في عقر ديارهن .
فهل لك ان تبرهن عن نبل غايتك لعلنا نقبل لك عذراً ؟



فكان لقولها وقع اشد من وقع السهم على قلبه وظهرت
بوادر الغيظ على وجهه لكنه تظاهر باللين وسعة الصدر
واجاب : لقد اخطأت مولاتي التعبير عن زيارتي وتأويل سبب
اصراري على مقابلتك . فانا لم اقصد سوى حمايتك ابان هذه
الثورة الطاحنة ، وقد اعتزمت صيانتك كحديقة عيني كي لا
ينالك اذى من اي غادر اثم .

ثم جثا على ركبتيه وقال : سيدتي ... لمياء ...
اني اهواك ... فارت لصب قد كواه هواك . واعلمي
بان حبك اضرم ناراً تأججت في فؤادي ، وهواك افقدني
عقلي ورشادي .

اجابت لمياء وقد اعترتها الدهشة بما سمعت وقالت :

يدهشني حديثك ايها الفارس فهو اغرب ما سمعت من مفاجآت
في حياتي . فهل لي ان اعرف هويتك اولاً وتاريخ هواك ثانياً ؟

فانتصب واقفاً واجاب : اسمي قسطه الرومي يوناني
الاصل . املك المال والجاه الى جانب ما اتمتع به من صحة
وبطولة التي تعز بها بنات حواء وجميع هذه تؤهلني لطلب
يدك وتشفع بي للاقتران بك . اما تاريخ هواك وامتلاكك
شغاف قلبي فيعودان الى حفلة السباق التي اقامها الامير خليل
وكنت انت زيتتها دون مزاحم .

فاسرت قلبي بنظراتك الفاتنة وجمالك الساحر . وقد
جئت يدفني الهوى لاسألك عن المكان الذي ترغبين الاقامة
فيه . فاقم نفسي حارساً اميناً على راحتك وتكونين معزة
مكرمة . وساعدك عليك من الحلى والجواهر ما لا يحصى .
وثقي بانني ساجعلك اسعد امرأة على وجه الارض . ولا
اكتمك بانني بذلت جهوداً في ما مضى لابلغك مقدار حبي
واعلمك بشدة وجدي فلم اوفق لذلك واخيراً توسط ابراهيم
باشا لدى الامير بشير صديق والدك ليطلب لي يدك ولكن
تجري الرياح بما لا تشتهي السفن . وذلك بسبب انهزام
المصريين وارتحال الامير عن البلاد . فهل آمل ان تبادليني
حياً بحب ؟

روعت ليماء عند سماعها ذلك الحديث المؤلم وهمست
 لنفسها : ايكون الرجل الواقف امامها يقرأ عليها سور هوا
 هو .. هو .. سبب موت والدها . ووقوع النفور بينه
 وبين الامير . مما عجل باجله وموته ؟

فاخذت تتفرس في وجهه بشيء من الخنق والرب
 واجابت وهي تتميز غيظاً . ساء فألك ايها المقيم المغرور ؛
 فالتقي تبها هواك قد نذرت العفة منذ نعومة اظفارها ، ولا
 يغرتك ما املك من ثروة وعقار ... لانني اعتزمت على
 ارتداء ثوب الرهبنة عن قريب وساوسي بجميع ما املك
 للاديار ... فانصرف غير مأمور .. وفتش عن عروس احلامك
 في غير هذا المكان وادارت وجهها لتعود الى غرفتها ..

* * *

فاعترض سبيلها وقال : لقد ساءني اعراضك عني
 ورفضك طلبي بجانب ما ابديتيه من هزاء وسخرية مؤلمة .
 وضربت بكل وعودي وعهودي عرض الحائط . فألمت
 نفسي وجرحت قلبي جرحاً بليغاً . أهذا جزاء ما اردت تحقيقه
 لك من سعادة وهناء ؟

غير انك ستندمين اشد الندم على ما تفوهت به من

تتغير واهانة وذلك عندما ينقلب هوى المائل امامك الى
 بغض شديد وانتقام هائل .

وسوف لا احجم عن سحق قلبك سحقاً مريعاً واجعلك
 عبرة لمن اعتبر . وهز رأسه ونار الغيظ تتطاير من عينيه
 وقال : اعلمي يا لمياء اني لا اجهل ما تكتمين من هوى
 يوما تتذرعين به من نذر وما توهين به من اعتزام الرهينة .

ويؤسفني عندما ارى من كانت في منزلتك تعرها مظاهر
 البطولة الزائفة والجرأة الكاذبة ، وقد اجاد تمثيلها بين يديك
 رجل لقيط لا حسب له ولا نسب ... وانت .. انت
 سليلة النبل والشرف تندفعين وراء حب وضع يقودك الى
 الذل والعار ..

اما لمياء ف اشارت بيدها الى الباب . ولم تنبس ببنت شفة
 وخرج قسطه من القصر ونار الغضب تستعر في صدره وهو
 يتهدد ويتوعد بالانتقام .

الفصل الثالث عشر

غالب العرباني والاخت مرتا

- الاخت مرتا : أتري تلك الاطلال التي تقع على ذلك المرتفع ؟ هي بقايا بيت متداع دارس الاطلال ، قيل انه كان مسكناً للجن والعفاريت - ورسمت اشارة الصليب - وانتشرت الاشاعات عن مشاهدته المريعة التي كانت ترعج سكان تلك البقعة الهادئة . فهجرها سكانها وامست خراباً

- الغريب : هذا حديث خرافة يا اخت لا اصدقه

- الاخت : فرمقته بنظرة غضب وقالت : الا تصدق قولي يا رجل ؟ كان لوب ذلك البيت خمسة فتيان ممثلين صحة ونشاطاً قضي عليهم الواحد تلو الآخر لان اللعنة تبتغهم الى النهاية .

- الغريب : ولما يا اخت ؟ واي لعنة تعنين ؟

- الاخت : لعنة الشهداء الابرياء الذين قضي عليهم زوراً وظلماً

- الغريب : اتعنين ان رب البيت كان من المجرمين السفاكين ؟

- الاخت : تنهدت واجابت : نعم ومن اشر السفاحين الطغاة

— الغريب : لعل موت اولئك الفتيان تأتى لوجود مرض
قتال بقي ملتصقاً بالدار ؟

— الاخت : كيف كان الامر فهي يد العدالة والتأديب :
هي يد الله

— الغريب : يخال لي انك تعرفين ذلك السفاح ومقتنيه
فهل وصلت اذيته اليك ؟

تهدت الاخت واجابت : نعم كنت واسرتي من اكبر
ضحاياه . وقد لعنته مراراً كما لعنه سواي : والويل للظالمين
الطغاة الذين لا يردعهم الضمير ولا يخافون الله . ووقفت
تلهث من التعب بسبب ثقل جراب كانت تحمله على كتفها
مملوء بالندورات المختلفة التي جمعتها من القرى البعيدة . لان
قانون الدير كان يفرض دوراً لكل راهبة لجمع الندورات
فتذهب مرة كل ستة اشهر لقضاء تلك المهمة مساعدة للدير
وراهباته اللواتي يعشن على صدقات المحسنين وتبرعاتهم .

واقترب الغريب منها ويده على رأسه يحمي بها جرحاً
بليغاً وقال : اتسمحين لي يا اخت ان احمل عنك هذا الجراب
الثقيل ؟ فترتاحين قليلاً .. فالاعياء بادٍ على وجهك والعرق
يتصبب من جبينك . فكيف اطيع رؤيتك على هذه الحال
وانا رجل قوي نشيط اسير الى جانبك فارغ اليدين ؟

اجابت الاخت : ان قانون الدير يفرض علينا قهر هذا الجسد الفاني وذلك بتكبد المشاق واحتمال المصاعب والالام .

الغريب : انا لا ادري شيئاً من قوانين الاديار ولا اعلم كثيراً عن الشرائع الدينية ، وكل ما اعلمه هو محبة الله والقريب وصنع الخير والابتعاد عن الشر .

وتقدم الغريب بالرغم منها وانزل حملها وحمله . ثم قال : حدثني الان بامر ذلك الطاغية السفاك .

اجابت الاخت : انك ترغمني على افشاء سر كتمته منذ خمسة عشر سنة ولا بأس من ان اجيبك على سوالك جواباً سليماً .

تنهدت الاخت وقالت : يعود حديث ذلك الطاغية الى تاريخ بعيد . الى بدء الخليقة . وهو الصراع بين قوى الخير والشر . وفي كل زمان ومكان يقع الحيف على الصديق فتصيبه النكبات وتتوالى عليه المصائب . بينما يتمتع المجرم والشرير بما اغتصبه من الخيرات عقب ذلك الصراع الجائر .

— الغريب : لقد اثرت رغبتى لاستماع حديثك وشوقتي لتتبع ما تعلمينه عن نهاية الفريقين . علي استفيد من سماعه

ويكون درساً اقلقنه منك فيعديني عن الاشرار واجتنب
صراهم الخيف .

اجابت الاخت وقد اعيها التعب : انزل الحمل عن
ظهرك ودعنا نمجلس تحت ظل تلك الصفافة . فبالقرب منها
بئر ماء عذب فنغسل وجوهنا وزوي عطشنا ثم نتم حديثنا .

— الغريب : لتكن مشيئتك يا اخت . ولست ادري لماذا
لذ لي حديثك وطابت لي رفقتك . واراني اشعر بقوة سحرية
تجذبني اليك . فما الباعث يا ترى ؟ ولم ينتابني شعور كهذا
من قبل .

اجابت الاخت : لعل لك امأ او اختاً تشبهني بعض
الشبه فاعتراك ذلك الشعور ؟

تنهد الغريب طويلاً وقال : للناس جميعاً امهات واباء
واخوات وانساب الا انا .

الاخت : اتعني انك يتيم الام والاب وليس لك اخوة
او انساب .

اجاب الغريب بصوت منخفض : لا احد ولا انساب
وليس هذا فقط بل انني اجهل حسبي ونسبي .

— الاخت : يا للعجب وكيف يمكن ان يكون ذلك ؟

«لا تعلم اين نشأت واين تربيت ؟ لم يخبرك احد منهم عن اصلك وفصلك ؟»

— الغريب : انك تخرجيني باسئلتك يا اخت : لكن لا بأس من ذكر امور يعود تاريخها الى خمس عشرة سنة خلت . وكان الذاكرة تعود بي الى ذلك الزمن . ويخال لي اني ووطأت هذه البقعة منذ عهد بعيد ولست ادري لما توهمت ذلك .

اجابت الاخت : يا للغرابة اتم حديثك وارو لي حكايتك فهي اقرب الى الخرافة منها الى الحقيقة . واصدقك القول دون موارد : انك ادخلت اللفه الى قلبي واشعر بقوة خفية تجذبني اليك كما شعرت انت ولست ادري اذا كانت المحنة تجمع قليينا ام هي الغربة تؤنس نفسيينا وقد قيل « ان الغريب للغريب نسيب »

اجاب الغريب : صدقت يا اخت كثيراً ما تجمع المحنة مغلوب المظلومين والمعذبين في هذا العالم الشرير .

* * *

تفرست الاخت في وجهه واستوت في مجلسها وقالت : سألتك عن نشأتك وعن الذين تربيت عندهم فلم تجبني ، هل يسؤك ذكرهم لي ؟

اجاب الغريب : كلا يا اخت لا مانع البتة من جوابي
على اسئلتك مع انها تعيد ذكريات مؤلمة الى قلبي : لقد
نشأت وتريت في كنف قبيلة من العرب اشفق عليّ احد
رعاتها عندما ضللت طريقي مساء يوم مشؤوم وكنت غلاماً .
فلجأت الى البكاء والعيول فسمع ذلك الراعي صراخي
ورثي لحالي ثم اصطحبني معه الى مضارب قومه وهناك
استخدمني تسع سنوات متوالية قاسيت فيها من الاهوال
والمشقات ما يطول شرحه ويصعب احتماله . وكنت اظن
انني بدوي وابن لذلك الراعي . غير ان الاقدار شاءت ان
تعرفني حقيقة امري . فساقت غلاماً من البدو للاعتداء عليّ
فثارت حميتي واندفعت اذود عن كرامتي . وجرت معركة
قاسية بيني وبينه انتصرت فيها عليه .

ولم تكن حيلة المغلوب سوى السباب والتعير ، فعيرني
بانني لقيط .. مجهول الحسب والنسب . فألمني ذلك التعير
وساءلني تخلف البدوي وزوجه عن تكذيب الغلام واثباتهما
بنوتي لهما . وبقدر ما ألمني ذلك التعير ونغص عليّ العيش ،
عولت على الهرب والفرار من تلك الديار . ففرت ليلاً
وسرت اتنقل من قرية الى اخرى الى ان تيسر لي الانضمام
في الجيش اللبناني وتقدمت من رتبة الى رتبة حتى اصبحت
رئيس فرقة حرس الامير بشير .

فقلت الاخت : يتراءى لي ان سيوتك حافلة بالمصائب
والنكبات العلى ابويك اخطاء وانت تتحمل تبعه خطأهما ؟

اجاب الغريب : لست ادري شيئاً ايها الاخت عن
صلاح ابوي او شرهما لانني لا اعرفهما .

فقلت الاخت : ان حكايتك تثير الشفقة والحنن في
القلب وتشبه حكايتي بعض الشبه فاكمل حكايتك لارى
پهية مأساتك المؤثرة .

اجاب الغريب : وكان الامير بشير يثق بي ثقة عمياء لا
سيا عندما اندلعت نيران الثورة وامتد شرارها . فانتدبني
كي اوصل رسالة سرية خطيرة لابراهيم باشا القائد المصري .

ودرى بذلك جواسيس الثوار . فكمن لي فريق منهم
على الطريق وكانوا نحو عشرين فارساً . فاطلقوا على نيران
بنادقهم ، ورصاص مسدساتهم التي كثرت بين ايديهم عندما
وزعت عليهم بواسطة عمال الانكليز - اخصام الامير .

فاجفل جوادي ورماني عن ظهره بعد ان جمع بي هرباً
من دوي الرصاص وكثرة المهاجمين فسقطت في واد سحيق .
فظن الثوار انني قتلت برصاص بنادقهم فتركوني وشأني
ولحقوا بالجواد ليستولوا على الرسالة .

واصبت بنجرح بليغ في رأسي . افقدني الوعي لكثرة
ما تزف من دمي . واعلمي يا اخت ان يد الله تتدخل في
شؤون خائفيه ولو توالى عليهم المصائب .

ويندر مرور السابلة في الوادي الذي سقطت فيه .
لكن يد الله سبحانه ألهم احد الرهبان ان يمرّ بذلك الوادي
السهيق ، فسمع انيني يصل متقطعاً الى اذنيه . فأسرع
يهول ناحية الصوت . ودنا مني واجلسني وضد جرحي ثم
اشار الى كوخ بعيد وقال : يمكنك الان الوصول الى ذلك
الكوخ وقضاء الليل عند صاحبه فهو رجل كريم ومضيف
سخي . وساعدو غداً قبل المساء واجلب دابة توصلك الى
حيث تريد وانصرف .

— الاخت : المجد لله الحنان الرحيم . فهو المعين وقت
الشدة والمنقذ عند الضيق يا للعجب ! ما اشبه مصابك بمصابي
ومأساتك بمأساتي .. فالعالم ملآن من المصائب والويلات ولا
غربة اذا دعي بوادي البكاء وارذفت قائمة : عفواً لقد
قطعت حديثك بالرغم مني وذلك لشدة تأثري به . فأكمل
حكايته وسوف لا اقطع حديثك بعد الآن .

— الغريب : لا بأس ايها الاخت ، وقضيت تلك الليلة
بضيافة ذلك الخطاب الكريم فشاطرني طعامه وفراشه ووفر

لي الراحة بقدر امكانه وها انا الان في طريقي للقاء ذلك
الراهب الجليل ، لانني اجهل سبل هذه الناحية وليس لي
مكان آوي اليه . لعله يشفق عليّ ويقبلني في الدير الى ان
اشفى من جرحي . وها انا اشعر الان بقشعريرة البرد تسري
في عروقي . ولا بد ان تعقبها الحمى .

— الاخت : قاتل الله كل مجرم سفاك ، ولتحل نغمته على
الاشرار الاشقياء . واردفت : لقد سرني ما ذكرت عن كرم
اخلاق ذلك الخطاب الفقير . فكم من فقير يتحلّى باسرف
السجايا وانبل الصفات ! وكم من غني كبير يتصف بادنى الحُصَال
وادنى الخلال ! فالغني غني الاخلاق وكفاه بذلك نبلاً
وشرفاً .

والتقت اليه وقالت : لقد تعبنا من السير وانهكنا
الجوع وقد فات وقت الغداء ، وانا ما زلت صائمة لان قانون
الدير يفرض الصوم علينا يومياً . فهل تتكرم وتأكل
لقمة معي .

— الغريب : يسؤني ان اشاطرك الطعام الذي جمعه بعرق
الجبين ومن صدقات المحسنين ، غير انني اشاركك به بشرط
ان تقبلي مني مقدمة متواضعة اقدمها بواسطتك للدير . وهي
بضع دريهمات بقيت في جيبتي وعلى الاثر ناولها الدراهم .

فاخذتها من يده وقالت : لبياركك الرب يا اخي
 ويشفيك . وبعد ان اكتفيا من الطعام واستراحا من مشقة
 السير التفتت اليه وقالت : لقد التقينا وسرنا معاً ما يقرب
 من ثلاث ساعات وتحديث كل منا عن ذكرياته الماضية من
 نعم وبؤس ، وفاتني ان اسألك عن اسمك فهل تتكرم وتذكره
 لي لكي اذكرك في صلواتي دائماً .



تنحى الغريب وصمت هنيهة ثم اجاب . اسمي غالب
 العربي نسبة لقبيلة العرب التي نشأت في وسطها كما ذكرت
 لك . اما انا فاعرف ان اسمي غالب فقط .

فتمتت الاخت لنفسها همساً وقد اعترتها الرغبة :
 غالب .. غالب .. ما احب هذا الاسم الى قلبي !
 واغرورقت عيناها بالدموع فبادرت تمسحها خفية كيلا تلفت
 انتباه غالب اليها .

— غالب : هل تتكرمين انتِ ايضاً ايها الاخت فتذكرين
 لي اسمك فاذكره ما دمت حياً واذكر هذه الفرصة السعيدة
 التي جمعتني بك والتعرف اليك .

— الاخت : اسمي الاخت مرثا ..

تفرس غالب ملياً في وجهها وافلتت تنهدة من شفتيه اذ

عادت به الذاكرة القهقري الى زمن طفولته : فهمس لنفسه :
يا للعجب كاسم امي تماماً ... واطرق برأسه الى الارض
وسالت من عينيه دمعان لم يتمكن من كبتها . وشعر
بنداء قلبه يشتد فيجذبه جذباً قوياً نحو الاخت .. وهمس
لنفسه جذبا لو صحت الاحلام .. انها عذراء ..

استولى عليهما الدهول .. فصمتا متهيئين كل يخفي سره
في صدره وافاقا من ذهولهما على صوت الراهب يسوق الدابة
وينتهرها .. فنهضا وتأهباً للقائه . واقترقا كل الى وجهته
بعد ان ودعتهما الاخت مرتا .. لكن روحها وقلبها راققا
غالب وبقيت تتلفت الى الجملة التي سار اليها الى ان غاب عن
نظرها فتنهدت من قلب كسير وتسارعت العبرات حيث
اخذت تتساقط من مآقيها وصرخت .. ولدي غالب اين
انت ... ووقعت مغشياً عليها عندما وصلت الى باب الدير .

ومنذ ذلك الحين قررت الرئيسة اعفاء الاخت مرتا من
الذهاب للقرى لجمع النذورات .

الفصل الرابع عشر

دير مار ساسين للرهبان الانطونيين

دخل غالب دير الرهبان الانطونيين بالقرب من برمانا
وقد تولاه التعب وانهمكه الاعياء بسبب جرحه البليغ وكثرة
ما تزف من دمه . فقضى ليله يتقلب من شدة الالم .

وانتابته حمى شديدة فأخذ يهذي لشدة وطأتها عليه .
وقام على علاجه رئيس الدير الاب بولس الانطوني . لان
الرهبان والكهنة كانوا يطببون الارواح والاجسام لقلة الاطباء
وقتئذ . ووقف على خدمته الراهب جبرائيل المصري وكان
اشد الرهبان عطفاً عليه . فكان يلزمه نهائراً وليلاً الى ان
خفت عنه وطأة الحمى . واخذ يتمثل للشفاء . وعادت اليه
ذاكرته ووعيه .

* * *

اقبل الراهب جبرائيل ذات يوم يحمل طعام الفطور الى
غالب فتفرس غالب ملياً في وجهه ثم صاح .. صديقي جابر ..
اين انا ؟ هل انا في يقظة ام في منام ؟ مالي اراك ملتقاً
بثوب الرهبان ؟ فإشار الراهب جبرائيل اليه ان يسكت .

وقال : اخفض صوتك .. لا تتكلم وسأحدثك بذلك في
ما بعد ..

وابلّ غالب من الحمى اذ تغلبت قوى الشباب على وطأة
الحمى وعادت اليه قوته ونشاطه . فطلب من الراهب جبرائيل
الذهاب برفقته الى كروم الدير المجاورة لاستنشاق الهواء
النقي والتمتع بصفاء الجو الساحر .

ولما ابتعدا عن الدير سأله غالب : اخبرني كيف وصلت
لهذا الدير وما دعاك الى لبس هذا الثوب وانت غير مسيحي ؟
اجاب الراهب جبرائيل : لم يبلغك خبر انهزام الجيش
المصري وانسحاب ابراهيم باشا الى مصر ؟

قال غالب : لست ادري شيئاً .. ويشهد جرحي على
صدق ما اقول .

فروى له الراهب جبرائيل حكاية فراده وكيف تمكن
وبعض انفار من رفاقه الضباط الوصول الى بيت الدين
والاحتماء بالدير .

وسأله غالب : هل اصبح رفاقك رهباناً نظيرك ؟

اجاب الراهب جبرائيل : كلا يا صديقي فقد قيّض المولى
لهم اناساً رحماء مكنوهم من العودة الى ديارهم سالمين . اما

انا ففضلت البقاء في الدير ونذرت نفسي لخدمة الله بعد ان تعلمت فرائض الدين المسيحي واعتنقته . آملاً في التكفير عن جرائم ارتكبتها زمن الحرب ، واثام اقترفتها ضد اخوان لي في الانسانية ، لم يضرروا لي عدواناً ولم يعتد احدهم علي . وقد لقبوا بالاعداء تبريراً لغاية الطامعين في السلطة والتوسع .

وحال اولئك جريمة القتل وبرروا اغتصاب بلاد المسلمين مستترين تحت ستار العداوة والعدوان . يتخذون هذه الالقاب وما يشبهها للوصول الى امانهم وما يصبون اليه من نفوذ وسلطة . فيقيمون مجدهم على اشلاء الانسانية البريئة . ولقبت بين الرهبان بالاخ جبرائيل المصري

فقد غالب يده وصاحفه بجرارة وقال : اهنتك ايها الصديق لاختيارك طريق الحق وسبل التقوى والاستقامة . وابتعادك عن طريق البطل والندامة . بارك الله غايتك النبيلة واكثر المولى من التائبين امثالك .

واحاط الاخ جبرائيل غالب بذراعيه وقال : هل علمت بامر الانقلاب الذي جرى اثر الثورة ؟

اجاب غالب : لقد خفي علي كل شيء . وقص عليه حكايته مع الثوار وما قاساه من الاهوال الى ان دخل الدير برفقة الراهب الانطوني .

وسأله الاخ جبرائيل : هل علمت بوفاة الشيخ منصور
الديрани والد لمياء .

فصاح غالب وقد صعقه الخبر : ومتى كانت وفاته ؟
وماذا جرى لابنته لمياء ؟

اجاب جبرائيل : [لقد حزنت لفقد ابيا حزناً شديداً
وهي لا تزال مقيمة في القصر . وسافضي اليك بسرّ ربما
تستفيد من الاطلاع عليه .

واردف : لقد ارسلت لمياء رسالة مستعجلة للاب بولس
رئيس الدير تشتكي بها على رجل اسمه قسطه الرومي .
ذكرت عنه انه دخل القصر قسراً وهددها بالقتل وتوعدها
بالانتقام لانها رفضت الاقتران به .

فقال غالب : تبّاً له من نذل وقح ودخيل اثم ! وقد
صدق المثل السائر « غاب سبع البر وتقتل ابو الحسين ودار »

واردف جبرائيل : لقد نال الشقي جزاءه . فقتل إثر
معركة بربرية نشبت بينه وبين التوار عندما علموا انه من
المتنفذين لدى ابراهيم باشا ومن جواسيسه الخبيثاء . وعلمنا ان
سبب تلك المعركة واحتدامها كان الوصيفة سعديه خانم جارية
الست حسن جهان - زوج الامير بشير .



غالب العربي - بطل الفصحة

وكان قد راق حسنهما لاحد الثوار فهم باختطافها والفرار
بها فاخذت تستغيث وتستنجد بصديقها قسطه . ومن غريب
الصدف انه كان عائداً من قصر الشيخ منصور عندما التقى
بهم يحملونها قسراً قصد اختطافها . فاسرع لنجدها لكن
الثوار تغلبوا عليه وقتلوه شر قتلة . اما سعديه فقد اختفى
خبرها ولم يظهر لها اثر بعد تلك المعركة .



— قال غالب : يا للعجب .. ! انك جعبة اخبار يا
جبرائيل فمن اين استقيت جميع هذه المعلومات ؟

— اجاب جبرائيل لا تعجب يا صديقي من معرفتنا جميع
الاخبار والاسرار فالاديان محط كل عابر ، وملجأ لكل
مهاجر فمنهم تصلنا الاخبار عفواً وبدون تعب .

— وقال غالب : اخبرني كل ما تعرفه عن لمياء ولا
تحف من امرها شيئاً .

فابتسم جبرائيل وقال : لقد اطلعتني الرئيس على
رسالتها ، وجاء في ذيلها : سابلغ التاسعة عشرة من عمري
بعد ستة اشهر ويحق لي حينئذ التصرف بميراثي كما ارغب

واقفتي . وقد اعتزمت ان اوصي بجميع ما املك مناصفة بين دير السبع بنات ودير مار ساسين . وكتبت الى جانب من الرسالة كلمة (ملاحظة) كتب في اسفلها :
 ... تقلدني جميلاً ايها المحترم اذا لييت طلباً لي احسبه في غاية الاهمية وهو : ارجوك ان تذهب الى دير السبع بنات وتحقق بامر احدى راهباته التي اسمها الاخت مرتا .
 فقد اشتبهت بامرها عند زيارتي للدير قبل وفاة ابي . ولا اكتمك بانني اشعر بهاتف داخلي ونداء قلبي ينبئني بانها خالتي اخت امي ، او بالحرى انها تعرف عنها شيئاً لانها اصيبت برجفة قوية ونوبة عصبية عندما ذكرت لها اسم ابي وامي .

ولي رجاء آخر وهو ان تفسح للاخت شهيدته بخلع ثوب الرهبنة وارسالها اليّ بعد ان تتصل بها وتسمع حكايتها المحزنة . وقد وعدتها اثناء تلك الزيارة بالسعي لاصلاح حالها وارجاعها لمن يهمهم امرها .

وبغت غالب لدى سماعه تلك المعلومات المثيرة . واشتد خفقان قلبه وقال : يا للتقادير الغريبة ويا لتدابير الله العجيبة ! وستندهش عندما تعلم بان الصدف جمعتني براهبة من راهبات دير السبع بنات واسمها الاخت مرتا .

وسرت برفقتها اكثر من ثلاث ساعات . حدثتني عن
 محنتها ولم تكتم عني خبر فجيعتها واسهبت في شرح المظالم
 التي لحقت باسرتها . ولست بدوري كآبة خفية على
 وجهها . فتارت شفتي عليها وشعرت بدافع خفي يجذبني
 اليها ونداء قلبي يدعوني لمحبتها ، لا سيما عندما علمت بانها
 تحمل اسم امي .

فقال جبرائيل : هل يطيب لك ان نعود الان الى
 الدير فاجمعك بالرئيس وهو ينبئك بحقيقة المعلومات التي
 استقاها من تلك الاخت عقب ذهابه لزيارة دير السبع
 بنات منذ اسبوعين ورجع بادي الاهتمام .

* * *

تأبط الاخ جبرائيل ذراع صديقه غالب وعادا ادراجهما
 الى الدير ثم استأذن له بالدخول على رئيسه فاذن له .
 فدخل غالب غرفة الرئيس : وجثا امامه بعد ان قبل
 يديه والتمس منه ان يصغي لقصته .

وابى الرئيس طلبه وقال : تكلم يا بني فكلي
 اذان صاغية .

وسرد غالب روايته من بدايتها . والرئيس يسمع
حديثه باصغاء تام واهتمام زائد وهو يتتبع حوادث ما جرى
له الى اخر القصة حتى وصل الى التقائه بالاخت مرتا التي
تحمل اسم امه . وتشابه محتها . واخبره ايضاً عما ساوره
من هواجس وظنون . وما شعر به من جاذب قوي
ونداء قلبي يشده اليها .

فقال الاب بولس : يسرني يا بني ان تصح احلامك
وتتحقق ظنونك وامالك . والاله الذي جمع يعقوب بابنه
يوسف قادر ان يجمعك بامك اذا شاءت مشيئته .

وسأله غالب : هل من مانع ايها الاب يمنعك من
الافضاء لي بالمعلومات التي استقيتها من الاخت مرتا اثر
اجتماعك بها ؟ لعل اطلاعي عليها يرشدني لمعرفة شيء
عن امي .

فاجاب الاب بولس : لا مانع الان يمنعني من اطلاعك
على ما طلبت . فقد اصبحت اليوم في حل من كتمان
سيرة الاخت مرتا وما يتعلق بها من حوادث عقب
الانقلابات السياسية . ولك كل الحق يا بني ولغيرك ايضاً
من يهمهم الامر ان يتتبع سيرة تلك الاخت المسكينة
ويتعرف الى هويتها .

واعلم ان التي كانت تدعى الاخت مرتا : هي بعينها زوج الشيخ اسعد الي خطار من عينطورا المتن ، وخالة لمياء ابنة الشيخ منصور الديراي .

وقد اعترفت لي بقصتها وحدثني عما نالها من ظلم وتشريد وروت لي عن حزنها على ابنها الوحيد غالب الذي تحمل انت اسمه . وذكرت لي كيف ضل ابنها وفقدته بين الاحراش اثناء فوارها من وجه الوشاة ، عقب وفاة زوجها البري .

وحكت لي قصة دخولها للدير واضطرارها للتكتم والتخفي خشية عدم قبولها فيه . لان القانون لا يسمح بقبول غير العذارى فيه .

* * *

فلما وثقت من حديثها وتأكدت من صدق قصتها . افسحت لها مجلّع ثوب الرهينة وارسلتها مغرزة مكرمة الى ابنة اختها لمياء - ابنة الشيخ منصور الديراي التي كتبت لي والتمست مني ان اذهب للدير الذي تقيم فيه الاخت مرتا والتحقق من هويتها لانها شكّت بامرها عندما التقت بها في ذلك الدير . وكان قد اغمي عليها حين عرفتها لمياء باسم ابيها وامها .

فاسقط في يدها وضاق صدرها بسرها لانها لم تتمكن
 من اظهار نفسها لابنة اختها . فقال غالب : والان فما
 رأيك ايها المحترم ؟!

اجاب الاب بولس : الرأي عندي ان ترافقني الى قصر
 الشيخ منصور فتجتمع بمرتا ولمياء . ولعل لقاؤكم ينير سبيلنا
 ويرشدنا الى معلومات خيرة سارة .

الفصل الخامس عشر

هو اجس مرتا وليماء

دخلت ليماء مخدع خالتها وبيدها رسالة جاءها بها ساع.
من دير الالباء الانطونيين . ففضتها وقرأت فيها ما يلي :

ابنتنا المصونة ليماء

اهديك التحيات المسيحية واتحفك بالبركة الابوية .
وبعد اخبرك بانني قادم لزيارتك في الاسبوع القادم
ويكون برفقتي شاب كريم الاخلاق نبيل الصفات اسمه
غالب العراباني ، وهو يود الاتصال بجالتك مرتا ليقف منها
على سر لا يقدر على كشفه سواها . فمهدي لنا السبيل
الى ذلك اللقاء واني لك من الشاكرين وتقبلي منا
الدعاء والبركة الابوية .

الاب بولس الانطوني

رئيس دير مار ساسين

وبعد ان اطلعت عليها واقمت قراءتها اسرعت الى
خالتها واخذت تقبلها وتضمها الى صدرها بلهفة وحنان .

وقالت : ما اسعدني بلقائك يا خالتاه .. ا فوجدك الى
جانبي فرج كربتي وادخل الغراء والسلوان الى قلبي .
فقد كنت في اشد الحاجة لمن يغريني ويواسيني . فالشكر
لله على مراحمه العديدة .

— اجابت مرتا : ان الله في خلقه شؤون فهو يضرهم
باليد الواحدة ويضمد جراحهم بالآخري . ولقد علمتني
التجارب ان كل الاشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله
ويتقونه ، فما اعمق محبة الله وما اعظم رحمته !

— اجابت لمياء : يخال لي ان يد الله العادلة تتدخل في
شؤون خائفيه فينصفهم ويبدد اخزانهم ويبدلها بافراح .
عندما يسلمون امرهم لمشيئته ويخضعون لارادته .

ولا بد بان الله سيفتقد مذلتك ويعيد الغراء والهناء
الى قلبك بعد ان احتملت بصبر شديد وايمان قوي
الشدائد القاسية وعانيت المحن المريعة .

— واردفت : تشددي يا خالتي واملكي اعصابك فانك
قادمة على مفاجأة سارة . تنسيك آلام الماضي وتزيل من
نفسك كل حزن ومرارة .

اجابت مرتا : ان رحمة الله لا تُحَدّ ونعمه لا تحصى
ولا تُعدّ ... فهو ملجائي وعليه اتكل .

وبدأت لياء تمهد سبيل اللقاء المنتظر بلباقة وحكمة .
ثم اخذت تشيد بصفات الشاب غالب العربي وتطريء على
شجاعته وتثني على نبل اخلاقه وشهامته . وقصت على خالتها
بدء معرفتها به ، وعن فوزه الرائع في حفلة السباق .

تأوهت مرثا وقالت : تذكرت الان انني التقيت
لشباب جريح يحمل هذا الاسم ولست ادري اذا كان هو
الشخص المقصود . واذكر انني سرت واياه مسافة طويلة
وصرفت برفقته نحو ثلاث ساعات فحدثته عن محنتي ولم
اكرم عنه المي ومصابي .

فاصغى باهتمام لقولي واسف لما انتابني من ظلم وجور
ولا اخفي عليك يا لياء ، بانني لم اتمكن من كبت
دموعي عندما ذكر اسم الذي يشبه اسم ابني المفقود .

وصدقيني يا عزيزتي بانني شعرت بعاطفة قوية تجذبني
اليه ونداء قلبي يدعوني لمحبه والعطف عليه كمحبة الام
ولهفتها . ولا ازال اذكر انه شعر بنفس شعوري . فهل
من الممكن ان يحقق هذا الشعور ؟ اجابت لياء : ان
الله على كل شيء قدير وليس عليه امر عسير .

الفصل السادس عشر

اللقاء

دخل الاب بولس الانطوني قصر الشيخ منصور الديواني
يصحبه الشاب غالب العربي . فاستقبلتهم لمياء بالترحاب
والسرور .

وطلب الاب بولس مقابلة الاخت مرتا على انفراد
فسهلت له لمياء ذلك . فاخلى بالاخت مرتا يستمع الى
بعض المعلومات آملاً ان تهديه الى التأكد من معرفة هوية
غالب العربي . وقد ثبت لديه من الدلائل العديدة والحوادث
الغريبة انه ربما يكون هو ابنها المفقود ...

وجلست لمياء ترحب بغالب وتحدث اليه ودلائل
البهجة والسرور تظهر على محياها . وأشارت من طرف
خفي لعيابه الطويل وانقطاعه عن التردد لقصر والدها .

تأوه غالب وقال : تعذرنى سيدتي لغيابي وقصوري
لاسباب القاهرة - والكريم من عفا . واسكت الهوى لسان
الحبيبين . وكل يسترق النظر لصاحبه ، ونابت لغة العيون

عن لغة الكلام . فافشت سر ما يكنسه احدهما للآخر
من شوق وهيام .

وصرف الاب بولس زهاء ساعة من الزمن يحقق
ويدقق مع الاخت مرتا عن كل ما تذكره من العلامات
التي تميز بها ابنها المفقود .

اجابت مرتا : انني اميّر ولدي بعلامة لا يغيرها مرور
الزمن ولا تطورات السنين . وهي وشم بشكل صليب على
ذراعه الايسر وشم تحتة احرف اسمه .

نهض الاب بولس بعد ان رسم اشارة الصليب على
صدره واخذ يتم ببعض الصلوات السرية طالباً من الله
ان يكشف ذلك السر المجهول .

وقفت لمياء وغالب احتراماً للاب بولس عندما سمعا
وطء اقدامه . وكان غالب يتربّ بفروغ الصبر نهاية
اعتراف مرتا والافضاء بما تعلمه من المعلومات والمميزات التي
تميّز بها ابنها .

* * *

واقترب الاب بولس من غالب وقال : اكشف عن
ذراعك الايسر يا بني . فاسرع غالب وكشف عن ذراعه
فظهر عليه وشم بشكل صليب مكتوب تحتة احرف اسمه .

وتفرس غالب في وجه الاب بولس وسأله : ما معنى
هذا يا ابت ؟

اجاب الاب بولس : معناه يا بني انك انت الضال
المنشود والعلام المفقود . واحاطه الاب بولس بذراعيه وعانقه
وقد اغرقت عيناه بالدموع .

وكانت لمياء قد غادرت الغرفة لتمكن الاب بولس من
الاختلاء بغالب . فيمست وجهها شطر غرفة خالتها . فوجدتها
مضطربة قلقه وقلبا شديدا الحفقان . فصمتتا تنتظران الجواب
كأن على رأسهما الطير .

وعاد الاب بولس الى حيث تنتظر مرتا ولمياء . واقتربا
من مرتا ، ووضع يده على كتفها وقال بتهمل في قوله : ان
الوشم الذي ذكرت اثبتته ذراع غالب . وهي .. هي ..
العلامة التي تميز ابنك بها وتنطق بصحة هويته .

انهضي يا اختاه واشكري المولى الذي افتقدك برحمته
واعاد اليك ولدك رجلاً نبيلاً يتحلى بافضل الصفات واكرم
الاخلاق . تشددي يا ابنتي وتعالى معي . وحققى بنفسك .
وانظري العلامة التي اشترت اليها . وقادها بيدها .. وهي
ترتجف .. وقد تساقطت العبرات من عينيها كحبات اللؤلؤ .

وعانقت مرتا ابنها غالب عناقاً حاراً وكانت الآهات
وذرف العبرات تعذر عن حلاوة اللقاء وقد صدق قول الشاعر :



يا عين قد صار البكا لك عادة تبكين في فرح وفي احزان
هجم السرور عليّ حتى انه من فرط ما قد سرّني ابكاني

اما لمياء فلم تتمالك نفسها من ذرف دموع الفرح
واسرعت لاسعاف خالتها التي اغمي عليها وغابت عن الوعي .

وفي اواخر سنة ١٨٤٠ وقف امام مذبح كنيسة دير مار
ساسين بقرب برمانا عروسان هما لمياء وغالب للاحتفال بعقد
قرانهما وتقبل بركة الاكليل من رئيس الدير الاب بولس
الانطوني .

وكان اشد الشهود غبطة وابتهاجاً الاخ جبرائيل المصري
وياقوتة مربية لمياء لاجتماع الحبيين وارتباطهما برباط الزواج
المقدس . ثم أفسح الطريق لدخول عروسين اخين هما هدى
الشوفي التي كانت تدعى الاخت شهيدة وسمعان الدير .

وبارك اكليلهما الاب بولس الانطوني رئيس دير مار
ساسين وخرج الجميع يهتفون الزوجين ويتمنون لهم السعادة
والتوفيق .

ابطال القصة

الامير بشير الكبير ... حاكم لبنان
 ابراهيم باشا ... الفاتح المصري وابن محمد علي باشا
 غالب العرباني ... رئيس حرس الامير بشير
 جابر العرباني ... امين سرّ ابراهيم باشا ومراقبه الخاص
 الشيخ منصور الديواني ... صديق الامير بشير الحميم
 قسطنطين صاروفيم ... صاحب نفوذ لدى ابراهيم باشا
 الامير محمود الفاعور ... رئيس قبائل عرب سورية الجنوبية
 وردة الترك ... اديبة وابنة الشاعر نقولا الترك
 سمعان الديار ... متعهد تموين الاديار
 سعديه خانم ... وصيفة حرم الامير بشير
 هدلا الشوفي ... فتاة شوفية
 لمياء ... ابنة الشيخ منصور

ولقد اعتمد في كتابة هذه القصة على المراجع التالية :
 الفرر الحسان - تاريخ لبنان الموجز - مخطوطات الخوري
 اسطفان البشعلاني - الامير بشير للخوري بطرس صفيو -
 مختصر تاريخ المشايخ اليازجيين لعيسى اسكندر المعلوف .

فصول القصة



الصفحة	الموضوع	الفصل
٣	رسول ابراهيم باشا	الاول
١٥	قصر بيت الدين	الثاني
٢٢	غالب العربياني	الثالث
٣٤	لمياء الديراني	الرابع
٣٧	حفلة السباق	الخامس
٤١	حكاية سمعان الدير	السادس
٥١	دير السبع بنات	السابع
٥٧	سعديه خاتم	الثامن
٦٧	قاعة العمود	التاسع
٧٤	وردة الترك	العاشر
٨٣	زيارة دير السبع بنات	الحادي عشر
٩٧	بوادر الثورة	الثاني عشر
١٠٦	الاخت مرتا وغالب العربياني	الثالث عشر
١١٧	دير الرهبان الانطونيين	الرابع عشر
١٢٧	هواجس لمياء ومرتا	الخامس عشر
١٣٠	اللقاء	السادس عشر

COMMITTEE ON WORLD LITERATURE
AND CHRISTIAN LITERATURE

1955



من مطبوعات مكتبة المشعل ببيروت ص. ب. ٢٣٥

١٩٥٣
